الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
٨١ شارع السلطان حسين بعابدين
تليفون ٧٧٤٩٠

سكرتير التحرير
محمود الخفيف

بدل الاشتراك
٩٠ فى مصر والسودان
١٣٥ فى الممالك الأخرى
٣ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد الخامس ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢ — أول فبراير سنة ١٩٥٣ السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة

٢ زامر الحى ... ... أقصوصة مصرية ... ... للأستاذ محمود تيمور ... ...
١٤ عينان ... ... للكاتب الهندى ك . ت . محمد ... بقلم الأستاذ محمود الخفيف ... ...
٢١ ولدها ... ... أقصوصة مصرية ... ... للأستاذ كمال رستم ... ...
٣١ وأخيرا استجيبت ... ... قصة أمريكية ... ... بقلم الأستاذة زينب الحكيم ... ...
٤٠ لوسى ... ... للقصصى الإنجليزى سومرست موم بقلم الأديب عبد الوهاب محمد ... ...
٤٨ الأم ... ... للقصصى الألمانى فيلكس سالتين بقلم الأستاذ على كامل ... ...
٥٤ أثر الماضى ... ... للقصصى الأرمنى باروخان ... ... بقلم الأديب ل . ه . ناطوريان ...
٥٨ فتاة السرك ... ... أقصوصة مصرية ... ... للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا ...
٦٤ اعتراف القاتل ... ... لجى دى موباسان ... ... بقلم الأديب عبد اللطيف حسن الأرناؤوط
٧٠ الرتيلاء ... ... للقصصى البرازيلى اوجينس لاسا ... بقلم الأستاذ إسكندر كرباج ... ...
٧٣ طيبة الرجل ... ... للكاتب الانجليزى رايس ديفز ... بقلم الأديب حسن فتحى خليل ...
٨٠ فكر فى الحل ... ...

زامر الحي

للأستاذ محمود تيمور

كنت وأنا فى أوج الصبا أسكن حى « درب سعادة » ، ذلك الحى العتيق الذى تتزاحم دوره ، ويتضايق طريقه ، حتى لكأن الدور على جانبيه توشك أن تتعانق

ولم يكن رواد هذا الحى كلهم من سكانه ، فمن بين أهليه طوائف من الناس تختلف إليه طرفى النهار وبعض الليل ، لا يكادون ينقطعون عنه فى يوم ، ولا يخفى عليهم من سكانه أحد ، أولئك هم الباعة الجوالون ، والعفاة من طلاب الصدقات ، وغيرهم من المرتزقة بفنون الملاهى وألوان التسلية وضروب الإضحاك والتفكيه

وقبيل الصيف ، أطلتنى أيام الامتحان ، فألزمتنى الدار أستذكر وأستوعب ، فإذا ثقلت على الوطأة ، ودار بى رأسى ، خرجت إلى الباب آخذ به مقعدا يشهدنى مواكب الطريق

وفيما أنا جالس ذات يوم ، صافحت سمعى رنات لحن حنون تبعثها صفارة من مكان قريب ، وما برحت هذه الرنات الشجية تتوارد على مستكينة وضاحة ، حتى تجلى بها زامر للحى لم يكن لى به عهد

وجه ضامر عليه سماحة ، تزينه لحية خفيفة كساها الخضاب ، وزى على سذاجته بادى النظافة رائق الهندام ، ومشية وادعة مسترخية تتطلع فيها أنظار الرجل إلى السماء ، كأنها تستملى منها ما يستوى عليه النغم من إيقاع

وراعنى من لحن ذلك الناى أنه كان حزين النبرة ، يفيض باللوعة ، وكأنه ينطوى على سر حبيس يحاول أن يصونه ، ولكن السر يأبى إلا أن يتسلل فى خفايا النغم ، كأنما هو نفثة مصدور

صادف هذا اللحن من نفسى هوى ، بل مس من قلبى الشغاف ، فجعلت أحرص على الجلوس ساعة الأصيل ، أرقب صاحب الناى فى موعده المألوف ، فإذا مر بى الصوت وغاب عن سمعى الصدى ، أحسست بروحى تتبعه ، هائمة معه

وعلى مر الأصائل تم التعارف بينى وبين شيخ الناى ، أستوقفه بعض وقت ، وأدعوه إلى الجلوس بجانبى فى الأحايين

وكان كلانا يأنس بصاحبه ، يجاذبه ألوان الأحاديث ... أما هو فلا تفرغ له جعبة من الطرائف والنوادر والحكايات ، يحسن كيف يرويها خلابة الوصف ، شائقة العرض ؛ وأما أنا فلا أمل سؤاله فى شأنه : كيف كانت أطوار حياته ، وأية آفاق تقاذفته ؟ فيجيبنى إجابة المقل الكتوم ، يضن بالإفاضة ، ويتحرز من التصريح

ومما كنت التزمته فى هذه الأيام التى أتأهب فيها للامتحان أن أؤدى الفرائض فى أوقاتها لا أتهاون . وكان على مقربة من دارنا مسجد صغير أقصده طالبا صلاة الجماعة ، وحضر وقت المغرب وأنا بالباب أتحدث إلى شيخ الماى ، فدعوته معى إلى المسجد ، فنشرأب نائه النظر فى كبد السماء وهو يقول مجمجما :

أعفنى ...

ثم لم نفسه يهم بالمضى عنى ، وهو يقول

قم لصلاتك .. إنى ذاهب فى سبيلى !

وهرول فى مشيته تخفيه طيات الطريق ، فوقع تصرفه من نفسى موقع الغرابة ، واستربت بأمره ، ولكنى شغلت عنه بإقامة الصلاة

وفى أمسية من الأمامى ، قفلت من المسجد بعد أداء فريضة المغرب إلى الدار ، فلمحت شيخ الماى يحوم حول بابنا كأنه يتفقدنى ، فأخذت بكتفه أبادره بقولى :

أنت هنا ؟ ... أطال انتظارك لباى ؟

— حضرت منذ قابل ، وأطلعت سوت الباى يدعوك

— كنت فى المسجد ... لماذا لا أصادفك فيه ؟

فوجم الرجل ، واكفهر وجهه ، ثم رجفت شفتاه دون كلام ... فحدقت إليه أقول :

ماذا يقعد بك عن المسجد ؟

— المسجد ؟ المسجد ؟

واستبانت الرعشة فى صوته وهو يقول :

إنما الأطهار من عباد الله هم الذين يؤمون بيوت الله

وما عتم أن استدار عنى يتفتل ماضيا ، وهو يلوح لى موادعا بيده . فانقبضت نفسى مما رأيت ، وبلغت بى الحيرة فى شأن الرجل كبير مبلغ ، وأصمت لأعرفن من جلية أمره ما يخفى

مابال صاحب الماى يتحدث عن الأطهار كأنهم من طينة غير طينته ، وكأنهم عوشا كانة غير شاكلته ؟ ومن الأطهار إن لم يكن من بينهم هذا الرجل الذى تنطق سماته وقسماته بالطيبة والصلاح ؟ ومن أولى بالصلاة من ذلك الذى يأكل لقمته من كسب حلال ، فى عفة نفس ، وشرف سعى ، لا يشرك

الناس فى نقائص الناس ؟

ولبث صاحب المساء على حاله فترة من الزمن ، وهو لغز عصى يستغلق على ، وكأنما زادنى هذا الإبهام الذى يكتنفه إقبالا عليه ، وتعلقا به . ولكنى مع ذلك تهيبت أن أقتحم عليه سره ، خشية أن يضيق بى ، فينفر منى

وتواصل الود بيننا ... أسمع عليه من عطف ولطف ، وأبثه الحديث فى خاصة أمرى ، وأطلب مشورته فيما يساورنى من مشكلات دنياى . وهو يمحضنى النصح ، ويقدر نقتى به ، ويكبر ما أستودعه من سرى ، حتى شرع يرفع الكلفة بينه وبينى

وكان فى الحين بعد الحين يسترسل فى إنشاد بعض الأهازيج الزيفية التى تنطوى فيها نواعج الحب وتباريح الهيام . وكأن هذه الأناشيد تترجم بالكلام ما كان النأى يرسله من أنغام ... فإذا فرغ من إنشاده ، بعث من أعماق صدره تنهدات حارة ، وأفاض فى حديث عاطفى مشبوب ، يقص على ما يلقاه العاشقون من ضروب الوجد والحنين ، وما يعترض طريقهم من عقبات وأشواك ، وأنا أخالسه نظرات تستشف ما وراء تلك النفس المعذبة الحيرى !

وبينما كنت يوما جالسا إليه ، وقد تزيم بالغزل ، وقص على ما قص من مصارع العشاق : جذبت يده إلى ملاطفا ، وأنا أحملق فيه ، وعلى فمى ابتسامة ، وقلت مبالغا فى صوت رقيق :

يمينا لقد كانت لك عصفورة .. عصفورة طارت من عشك !

فرعدت يد الرجل فى يدى ، وروى ببصره عنى ، وهمهم يقول :

عصفورة ؟ عش ؟ أية عصفورة ؟ وأى عش ؟

واستأنفت أقول :

يمينا لقد لوعك الحب ، وإن قلبك لينطوى على جرح دفين !

فأطرق يشد على يدى قائلا :

دعنى بربك دعنى . . خلنى وما بى ... إنه سرى !

ثم تغشاه الصمت هنيهة ، وأنظاره تسبح فى أعراض الأفق ، وإذا هو تنفرج شفتاه ، رقيق الصوت ، حزين اللهجة ، كأنما يناجى نفسه .. يقول :

« . . يحكى أن . . فتى يدعى «مرجان» درج فى قرية تسمى «الشباريق» وكان أبوه الشيخ « محمد الرخ » إمام المسجد الكبير فى القرية يكفله منذ الطفولة وقد أحسن تنشئته وتربيته ، فعلمه القراءة والخط ، وأحفظه ما استطاع أن يحفظ من كتاب الله ، واستعان به فى خدمة المسجد

وأداء الأذان فى مواقيت الصلاة

تنتهى هذا الفتى منذ صباه برجل ينتسب إلى بعض الطرق الصوفية لا يخلو من لوثة ، أكبر همه التفتح فى مغامراته ، وترديد الأذكار ليل نهار . فاتخذه الفتى أستاذا له ، ليتلقن منه فن السفر ، ويروى عنه الأغانى والترانيم

وبوما ، والفتى فى نحو السابعة عشرة من عمره ، وقف على رأس الطريق ضحوة يرقب ، فإذا أخوه الإمام قادم بعد غيبة عن القرية نحو شهر .. وراع الفتى أن يرى أخاه قد اصطحب إحدى النساء منتقبة تكسوها الملاءة السوداء

من تكون ؟ إن امرأة أخيه قضت نحبها منذ أشهر قلائل ، وما كان لأخيه أن يصطحب من النساء إلا ذوات القربى ، وليس يلوح على هذه المرأة أنها من أهله ..

ويلبث الفتى فى دهشته ، إذ دنا منه أخوه يرغب إليه فى أن يحمل عن صاحبته ما فى يدها من صرة المتاع ، وهو يقول له :

صافح زوج أخيك !

وعقدت البغتة لسان الفتى ، فشى عاثر الخطا تتنازعه حيرة وفضول .. وهمهم بريد التحية ، ولا يدرى بأى قول نطق ، وما لبث أن تناول صرة المتاع مسرعا إلى الدار

كانت عروس الإمام فى زهرة الصبا وضيلة الطاهة ، ما كاد الفتى يعاينها حتى أنس بها أنسا لم يحسه لأحد من قبل ، وكلما تقادم العهد جد من ألفة الفتى لها ما يملأ نفسه بها ، وبأن له أخيرا على غير ذلك أنه يهواها ، وأن الهوى يذيبه ، فهاله الأمر واستنكر أن تكون له هذه العاطفة الدنيئة نحو زوج أخيه .. أخيه الذى هو فى مقام أبيه ، ولى نعمته فى عيشه كله

وعالج الفتى أن يرد عن قلبه ذلك الهوى الغشوم ، فحرص دوما على ألا يخلو بروج أخيه ، وتحاشى جاهدا أن يطارحها الحديث ، فكان كأنما ينفخ فى النار ، يزيدها من ضرام

ولم يجد بدا من أن يقبر فى أعماق نفسه سره الفاضح ، لا سلوى له إلا سفارة من قصب ، يودعها نفثات ملهوفة من صدره المقروح

وضاق الفتى ذرعا بما كان يتحطله من رعاية زوج أخيه له ، وبرها به . ولا سيما فى مغيب أخيه .. فإذا خصته بشىء من طريف ما تطهو من طعام ، تأبى أن يقربه ، متلمسا ألوان المعاذير ، وإذا تعللت ببعض الأسباب لإطالة حديثها معه ، تعمد اقتضاب الكلام ، بغية الإفلات

وذات يوم ، والشمس على أهبة الغروب كان الفتى خاليا بنفسه خلف الدار ، آخذا

بصغارته يشبها بحواه ، وهو تائه الفكر هيمان ، فاستشعر على حين بغتة بأن خلوته يشوبها طارق . وما إن تلفت حوله حتى لمحت عينه « هنية » زوج أخيه توارىها كومة من حطب عن كثب ، وهى ترنو إليه فى سكينة وخشوع ، فملكته رعشة ، ونهض من فوره يقول :

أنت هنا ؟

فأجابته فى صوت مطوف :

حضرت منذ قليل

فقال لها فى اضطراب :

ما أتى بك ؟

فكسرت عينها ، وهى تقول :

جذبنى صفيرك

ورآها تتهادى إليه حتى واجهته ، فقلقت قدماه ، يبغى هربا ...

فأمسكت « هنية » بطرف كمه تقول :

ماذا يعجلك ؟ لتلبث قليلا ...

فصاح الفتى سيحة مختنق ، وهو يدير منها بصره ، وينحيها عنه بيده ، قائلا :

دعينى ... دعينى ...

فهمهمت تقول له فى مسكنة وانكسار :

ماذا يعشك على كرهى ؟ لم تضيق بى ؟

واستبدت بها نوبة من البكاء والنحيب ، فأحس الفتى شغاف قلبه يتهتك ، ورأسه يغلى مراجله ، واقترب منها يقول فى تلعثم :

أنا أكرهك يا « هنية » ؟

فأشرعت إليه عينا تشرق بالدمع ، وفى نظراتها تعرف واستخبار ، فوقف حيالها يحكم أوصاله ، ويقهر عاطفته ، فإذا هى تلقى برأسها على صدره ، وبداها تتشبثان بمنكبيه ، وجفناها ينسدلان .. وخيل إليه أنها تومئ أن تتهاوى ، فألقى نفسه يطوقها بذراعيه ، وكانت بينهما فورة من تقبيل وعناق !

وأنبهتهما من نشوة الصبوة أصوات حملها النسيم من بعيد ، فتطلعت أعينهما هنا وهنالك ، فاستبانت لهما على جسر الترعة أشباح سيرها وئيد ، فارتجفت « هنية » وهى تقول :

هذا أخوك فى صحبة بعض مستأجرى أرضه .

وقفزت تدخل الدار ، فاتخذ الفتى طريقه فى الحقول يطيل سيره ، وهو يحاول أن يراجع صحوه من سكرة تلك الساعة

وعاد الفتى إلى الدار ، فوافى أخاه جالسا إلى صينية الطعام ، وقد شرع يسيب عشاءه ، فلما وقع بصر الشيخ على أخيه ، صاح به وفى قوله رنة فرح واستبشار :

أين كنت ؟ ما أطيب الليلة ! ... أقبل ... أقبل ...

فوقف الفتى حائرا لا يبس ، وواصل الشيخ قوله متضاحكا :

سنة كلها خير وبركة ... لقد أجرنا الأرض الليلة بقيمة فاقت ما كنا نؤمل ... الحمد لله ... تعال نخذ نصيبك معى من الطعام

فجلس الفتى إلى الصينية قبالة أخيه ، وطفق يأكل ، يده إلى فمه تلقى باللقيمات ، وترجع إلى الصينية نصيب منها عودا على بدء ، وذلك على غير وعى منه ولا يقظة ، عينا يحاول أن يلملم ما تشعث من فكره ، ويضبط ما اهتاج من أعصابه

وفى الفينة بعد الفينة تهل « هنية » على الحجرة بجديد من الصحاف تارة وبقلة الماء تارة ، وهى تسير ممتقعة الوجه ، مرتجفة الجفنين ، لا تستطيع لخطوها وزنا

وما إن تقبل على الحجرة ، حتى ينكس الفتى رأسه ، ويمضى فى الطعام منشاغلا به عجلان ، ولم تكن « هنية » تلبث إلا ريثما تضع الأشياء فى مواضعها ، وتعود أدراجها على الفور

أما زوجها الشيخ ، فكان متطلقا يثرثر فى حديثه عن الإجارة ، وهو عما ظفر به مغتبط نياه

وبغتة ، والفتى منكب على صفحة طعامه ، يعلن حول سمعه كلمات أخيه لا يعى منها حرفا ، أزعجه من غفوته سقطة جسم فى الحجرة ، وتحطم بعض الآنية . فالتفت يتعرف الأمر ، فإذا أخوه ينهض مسرعا إلى زوجه ، وقد تهاوت على الأرض ، وانزلقت من يدها الصحاف ، وصرخ أخاه بقول :

ما بك يا « هنية » ؟

فاعتدلت المرأة تصلح شأنها ، وهى تهمهم :

لا شئ ... أصابنى دوار !

وأنهضها الشيخ بين يديه ، وصحبها إلى مخدعها قائلا لها فى تحنن :

استريحى قليلا ...

ولزمها حينا يعنى بها ويلاطفها ، والفتى ماكث فى مكانه يرقب ما يجرى بخجول النظرات ، كأنه تمثال من حجر ، لا يملك لنفسه من حراك

ورجع الشيخ إلى مكانه من صينية الطعام يستأنف عشاءه ، وقال للفتى :

أجهدت المسكينة نفسها فى أعمال الدار

ولما لم يناوله أخوه الحديث ، ممسكا عن الطعام ، أردف قائلا وقد رفع إليه بصره :

مالك لا تأكل ؟

فعالج الفتى أن يجيب ، وبعد لأى قال متحشرج الصوت ، يزيغ بصره عن أخيه :

لا أكتفيت ؟

وأعجب ما كان من أمر الفتى أنه كان فى هذه الساعة لا يطيق أن ينظر إلى أخيه ، وأن يتابع الحديث معه ... إنه ليجد فى نفسه طارئا من الشعور بأنه يمقت أخاه ، وينكر عليه حظه من الحياة !

وهب واقفا يطلب الخروج ، فسمع الشيخ يقوله له :

إلى أين ؟

— إلى المسجد ، لأغلق بابه ...

وأدبر عن الدار ، تقوده قدماه إلى البقعة التي كان فيها منذ قليل مع « هنية » يستمرئان متعة البقاء ... وما هي إلا أن طاف ببصره بغتة ويسرة ، ثم انخرط في نشيج وبكاء ، وظل على حاله فترة ، وكأن روحه تذوب في مسيل الدموع !

ولا ينسى الفتى كيف قضى تلك الليلة العسراء ، فقد مرت به ساعاتها أرقا تتقاذفه الأركان والجدران ، خلف الدار ، فإذا غلبته إغفاءة تمثل له شبح أخيه الشيخ شائه الوجه ، تتلظى عيناه ، في يده يلتمع سيف المسجد الخشبي ، وما يلبث أن يهوي به على جسد الفتى في قساوة وضراوة يقطعه إربا إربا ، فيصحو الفتى مذعورا تحوم الأوصال كأنما يريد أن ينسلخ من جلده

ولم تكد تنجلي عنه ظلمات الليل ، وتفضح جبينه أنداء السحر ، حتى سكنت ثورته ، وغشيه سبات ثقيل ... فلما علا الضحى ، وأراد أن ينهض ، خانته قواه ، واستشعر الخور يملك عليه جسده كله ، فجلس إلى جذع من جذوع النخيل ، والفتور ينجاب عنه شيئا بعد شيء . وفي الحين بعد الحين تسنح لخاطره بعض الصور ، فيثور عليه الضمير ، وتأخره ندامة

ونادى المؤذن لصلاة الظهر ، فلباه الفتى قاصدا المسجد ، وهناك وافق أخاه ، فسارع إليه يعتذر من التخلف بألوان من الأكاذيب ... وما تم أن هبط على يد أخيه مرتجفا يقبلها غير مرة ، وهو يقول :

سأكون داعما طوعك ، أبتغي مرضاتك ، فكن راضيا عني

فقال له الشيخ في تحنان :

أنا راض عنك دائما ... هداك الله ، ووفقك للخير ، وعصمك من الشرور والآثام ...

فسما الفتى بعينه إلى وجه أخيه ، فطالعته فيه ابتسامة تتجلى فيها محبة وإخلاص ورضا

وأبى الفتى أن يريم المسجد بقية يومه . فلما أسدلت العشية أستار الظلمة ، كان الفتى قد اقتسم بينه وبين نفسه على أمر ، وعول على أن يبر بقسمه أبد الدهر . لقد لطف الله به فيما جرى من ملاقاته الآثمة لزوج أخيه ولن يعود لمثلها ما بقيت فيه حياة

وتوالت على الفتى أيام قضى أكثر ساعاتها في المسجد ، يطيل الصلاة ، ويكثر التسبيح ، وكان لا يتوخى الدار إلا عند الضرورة القصوى ، يحضر من أخيه لا بد ... فأما « هنية » فكان لا يكلمها

إلا لماما فى اقتضاب ، متحاشيا أن تلتقى عيناها بعينيه ، وأما مغادرته فقد هجرها فى مرعى بعيد ، لا يطيها أغاسه العذاب !

وانقلب الفتى نسكا وقور السمت ، صلب القسمات ، يريد نفسه على ألوان من التقشف والشظف ، ولكنه أدرك من أمره أنه كان سريع الذهول ، فاتنا أخطأ فى صلاته ، وطالما شرد فكره وهو آخذ فى تسبيحاته ، فإذا هو تتراءى له أطياف لا يكاد يقبضها حتى ترتعد فرائصه ، وهو يهمهم :

إنه معها ... إنها له ...

ويرجع إليه ما غرب من سجوده ، فيضرب جبهته بيده ، هاويا على سبحته ، يستغفر الله العظيم !

وتواردت الأيام على الفتى تدور به فى آفاق شتى ، يقبل على عبادته حينا ، وتلعب به الوساوس والتصورات حينا آخر ، وهو فى عامة أمره يجاهد نفسا باتت فريسة الحيرة والقلق !

وبينما يكون الفتى مطمئنا إلى أنه ملك زمام شعوره ، إذا به فجأة يروعه هتاف تتردد أصداؤه فى أنحاء صدره ، فيدوى فى مسمعه صوت يقول

إنه معها ... إنها له !

ويخرج هائما على وجهه ، لا يعرف إلى قرار من سبيل

وذات عشية ، وقد جهدته نوازع نفسه الجياشة ، وطال به التطواف فى أطراف الحقول ، تحت جنح الليل ، ألفى نفسه بعد لأى تجاه الصيد ، فدخله فى استسلام ، واستلقى على الحصير يبيح لأوصاله أن تسترخى ، ولوعيه أن يغيب

وفيما هو على حاله تلك ، إذ شعر بيد على كتفه . فرفع جفنيه يتبين فى ضوء القمر المنساب من الكوة ، وما هى إلا أن وثب مذعورا كأنما لسعته عقرب !

إنها « هنية » عينها ، زوج أخيه ، يلمحها فى تلك الساعة الواغلة فى صميم الليل ، وفى ذلك المكان الذى ليس فيه سواه

وسألها فى تلعثم :

فيم جئت ؟

— لم تحضر إلى الدار منوال يومك

— وما شأنك بى ؟

فتدانت منه تأخذ بكتفه وهى تقول مجهورة الأنفاس :

لم يبق لى صبر .. جئت لأراك فى خلوة

— أنسيت يا « هنية » أن لك زوجا هو أخى ... أنت له ... أنت له ...

— بل إنى لك دون سواك !

وتشهقت تصدره تتعالى تنهداتها وهى تقول :

لا تسكن جافيا فإنى القلب ... كل

ما كابدت لأجلك من عذاب !

وانتفض جثمان الفتى انتفاضة عارمة زلزلت كيانه ، وأوقدت فيه نارا حامية ، فدارت يداه على الفور بالمرأة تطوقها وتهمس عودها ، وهوى عليها يقبلها منهومة شفتاه ، وهو يردد فى أنفاس تتلاحق :

أنت لى — لى أنا وحدى !

ولبث الفتى مع هنية ساعة من ساعات الغرام العنيف — ساعة رائعة يستطيع الفتى أن يقسم لك غير حانث أنه قد أصاب فيها من النعيم ما لم يصبه أحد منذ خلقت الأرض — إنها فى حساب الزمن ساعة ، ولكنها فى الحق أحفل عنده بالمتعة والنشوة من أعمار طوال

نام الفتى وصاحبته متعانقين ، لا يعنيهما من الوجود شىء ، حتى لاحت فى الأفق تباشير الفجر ، ولم توقظهما إلا طرقات بالباب . يتبعها صوت ينادى :

يا سرحان — افتح يا سرحان ..

فقالت المرأة للفتى فى همس راجف :

هذا أخوك ...

وتواصل الطرق على الباب ، وتابع الصوت نداءه :

يا سرحان — افتح يا سرحان ...

فوجد الفتى نفسه يجيب عالى الصوت :

سأفتح — سأفتح ...

ولم تجد المرأة بدا من التسلل ، صاعدة إلى سطح المسجد ، على حين اتخذ الفتى طريقه إلى الباب يفتحه ، ودخل أخوه مقطب الجبين يقول :

أما زلت تنام فى المسجد يا سرحان ؟ ... ألست لنا دار تسعك ؟

— سرقنى إغفاءة ، بعد صلاة العشاء فامتد بى النوم على الرغم منى ...

وجلس الشيخ صامتا بعض وقت ، ثم استأنف يقول فى قلق :

لقد سمعوت من نومى ، فلم أجد هنية فى الدار ...

فقال الفتى مأخوذا بمعانى التلفظ :

كيف ذلك ؟ أين ذهبت ؟

فقال الشيخ هين الصوت :

خرجت — أتكون قد ذهبت لتملأ الجرة ؟ أتكون فى بيت جارة لها تخبز ؟

فهمهم الفتى :

لا بد أن يكون ذلك ، لا بد ..

وخلا الشيخ لنفسه صامتا هنيهة ، ثم نهض قائلا :

هلم إلى الصلاة يا سرحان

ومثل الفتى عن كثب من أخيه يركع ويسجد ، وكانت صلاة آثمة بارکها الشيطان

وشرع الناس يتوافدون على بيت الله ، يؤدون له مكتوبة الصبح ، والفتى يقاسى

من حاله محنة عسراء ، فما شهد أخاه يبارح المسجد حتى انسل صاعدا إلى السطح وهو يتلفت ، وما كان أشد دهشته حينما ألفى السطح خاليا ليس فيه من إنسى . فطوف ببصره غير مصدق ، وجعل يذرع السطح متأملا كل رقعة فيه ، حتى كأنه اختبل

وانتهى به الطواف إلى حافة السطح خلف المسجد ، وألقت منه نظرة إلى الأرض ، فندت من حلقه صيحة مصعوق وسرعان ما ألقى نفسه ينحدر على الجدار ، حتى بلغ مسقط عنية فإذا هي ملقاة تئن فى خفوت ، فأقبل عليها فى هلع ولهف ، وهو يسائلها :

ما بها ؟

فعالجت أن تجيب فى عناء :

لقد تحطمت يا سرحان ... تحطمت ..

وكانت تعض على شفتيها فى عنف ، لتكتم التأوه ، فاحتضنها الفتى يواسيها ، ولا يدرى ماذا هو قائل ؟ وماذا هو فاعل ؟ فسمعها تهمهم :

أوحاعى لا تطاق ... إنى أموت !

وما وجد الفتى بدا من أن يحتملها فى رعاية واحتراس ، والأسى يمزق نياط قلبه ورأسه تتضارب فيه المخاوف

وانتحى بها بيت « أم عبد الجليل » وكانت مستودع سره ، عطوفا عليه ، وفية له ، فأفضى إليها ببعض الأمر ، وناط بها تدبير المخرج

فنهضت المرأة ناشطة إلى دار الشيخ تنهى إليه الخبر . وما أسرع أن نقلت عنية إلى دار زوجها تحوطها العناية والتعهد

وأشاعت « أم عبد الجليل » أن عنية قدمت عليها قبيل الفجر لتخبز ، وصعدت إلى سطح الدار ، تجلب منه الوقود ، فزلت بها القدم ، وسقطت تلك السقطة الحاطمة

ومضى يومان ، تكابد فيهما عنية آلاما مبرحة ، والفتى عائذ بتلك اليقمة الخالية وراء الدار ، حيث ارتشف أول قطرة من غرامه المحرم . فكانت تنوبه ثورات تحتد به ، حتى يتحى على شعره تقطيعا ، وعلى جبهته لكما وجيعا ، وهو يغمغم مختنق الصوت .

أنا الذى يجب أن يعذب ... أنا الذى يجب أن يموت !

وقضت عنية نحبها فى الفداء ، وشيعت جنازتها إلى جبانة القرية على النحو المألوف فى عرف الريف

وتجلد الفتى أول الأمر ، يكبت مشاعره فى جهد ، فقام بما وكل إليه من شأن المأتم ولكنه كان يؤدى عمله فى تبلد ووجوم . وكثيرا ما تزدحم عليه التصورات والأخيلة فيحس كأنما هو يهوى من عالق ، أو كأنما

هو تتخطف به الأرض

وبعد أيام عراه انقلاب ، فلم يعد يطيق اللبث فى مكان ، وإذا هو يهيم على وجهه فى المطارح القصية ، كأنه ثور انفك من قيوده ، فهاج وماج

وأسلمه ذلك بعد حين إلى النهيار وعمول ملازم الدار أكبر وقته ، وهو يحاول جهد إمكانه أن يتجنب مواجهة أخيه ، فإذا التقيا على رغم منه وكره ، أحس كأنما أخوه يوشك أن يسأله :

كيف سولت له نفسه أن يفعل مافعل ؟

وعلى مر الأيام أحس الفتى بأن سره ينمو فى صدره ، ويكاد ينطق بجريرته الشؤمى ، وأن العيون من حوله تقول :

خذوه !

وكان إذا برح الدار ، تنقل فى أرجاء القرية ، متنكبا عن المسجد لايقربه ، فجاءه أخوه ذات يوم يسأله :

فيم تخلفه عن بيت الله ؟

فلم يجد الفتى مندوحة من الذهاب إليه ومعاودة القيام بعمله فيه ... وفيما كان يروح ويجئ ، تمثل له مشاهد ليلته التى قضاها مع هنية فيه ، فينقبض صدره ، وتغيم عيناه ، وتنتهشه الأفكار السود

ولما جن به الليل فى المسجد ، أحس الخوف يدب فى أوصاله ، ويتسرب فى كيانه ولكأن أشباحا مفزعة تدف حواليه ، وهمسا رهيبا يطن فى أذنيه

وما كاد المسجد يخلو من قساده ، حتى عمد إلى الباب ليوصده ، وبينما هو فى طريقه إليه استشعر خفق أقدام فوق سقف المسجد فأرهف السمع ، وانقلبه وجيب دموم فأيقن نفسه يهرع إلى السطح صاعدا ، ورآى له على الحافة طيف يتردد ، فأقبل نحوه ، فانهوى الطيف دفعة ، ورن فى أذن الفتى وقع سقطته ، وتتابعت إليه أنات متوجع . فانحدر الفتى على الجدار ليبلغ مستقر الطيف ، فإذا هو فى البقعة التى احتوت هنية منذ أيام جسد ملقى بين فى خفوت

وحوم الفتى بعينيه على حذر وتخوف يبحث عن الطيف ، فلم يجد له من أثر . وما إن خطا خطوة حتى صادف أحاد الشيخ قادما من جانب المسجد ، فبوغت بمرآه ، وما عتم الشيخ أن قال فى استنكار :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! .. أنت هنا ! فيم بقاؤك فى الظلام ؟ !

وجم الفتى واقفا يدور رأسه . وتريع عيناه ، ويبدو ارتباكه واضطرابه ... واستأنف الأخ قائلا :

ماذا بك ؟ ما الذى تخفيه عنى ؟ تكلم

فساء الفتى فى غير وعى :

لا تسألني ... لست مجيبك ... هذا فضاء الله !

فتعجب الأخ من قوله ، وتدانى منه يتفرس فيه ، فرده الفتى عنه بصيح مخنوق الصوت :

لا تقربى لا تقربى !

وانطلق يهيم على وجهه كمن أصابته جنة..

وكان هذا آخر عهده بأخيه ، وبقرية أهليه

ونفاذفته البلاد على تنائى أطرافها ، يحيا حياة الطريد الشريد ، لا أنيس له ولا سمير إلا تلك السفارة الحنون

وها هو ذا يستقر به المطاف فى هذه المدينة ، حيث تراه ! ...

* * *

ونكس امر المحى رأسه ، وقد نال منه الجهد . ثم وقد شجانى حديثه :

لماذا لا يستغفر الخاطئ ربه ، مستأنفا نقواه ؟ بلى ، لن يتخلف عن بيت الله ؟

فرفع الرجل وجهه إلى ، وقد برقت الدموع فى محجريه ، وهمهم :

أترى يغفر الله له ما اقترف من إثم ؟

أترى ينفسح لمثله المسجد الطهور ؟

وما هى إلا أن اجتذب سفارته من صدره ، وانكب عليها يوقع لحنا رفيقا يتفطر من ضراعة وندامة وحنين !

محمود تيمور

مختارات من الأدب الفرنسى

شعر ونثر

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

تاريخ الأدب العربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، وتحليل موجز ، واستيعاب مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى

للأستاذ أحمد حسن الزيات

عينان

للكاتب الهندوكي ت. بحت

بقلم الأستاذ محمد الحنيف

كل من لهم أعين يبصرون بها يضحكون مني إذا رأوني . ولقد يضحك بعضهم ضحكات واعدة . وإن لديهم لأبا. مضحكة يروونها عني . ولكني أعلم ما يقولون وأعلم لماذا يجعلهم يضحكون كما تنهق الحمر

إن من أسباب ضحكهم وسخريتهم مني أن لي أيضا حبيبة كما يكون لأي امرئ حبيبة. وأكثر من ذلك مدعاة لسخريتهم أني تزوجتها ! كيف أصبحت عاشقا وكيف أصبحت زوجا ؟ إنهم يجعلون من ذلك قصة يسوقونها ساق العجائب التي يضحكون منها ثم يغرقون في الضحك . وإذا استفهمتهم عن هذه الأعجوبة المضحكة ، أحالوك على لتنظر إلى نظرة ! وإني لأقف أمامك فإذا

كانت هذه القصة إحدى خمس وأربعين اختارتها جريدة هرالد تريبيون الأمريكية لتنشر في مجموعة أسمتها في كتاب وذلك من بين أكثر من ستين ألف قصة أرسلت إليها من جميع أنحاء العالم في مسابقة كانت أعلنتها في القصة القصيرة .

ونذكر بهذه المناسبة أن القصة التي نشرناها في العدد الثالث تحت عنوان « الذباب » هي التي فازت بالجائزة الأولى في هذه المسابقة العالمية .

وسنشير من حين لآخر إلى القصص الخمس والأربعين ما ترجمه للقراء بين حين وحين .

ترى في مما يسترعي انتباهك بوجه خاص ؟ إني بعد هذا كله آدمي كسائر الناس .

أنا رجل قصير ؛ سواد بشرتي كسواد الفحم ، تحملني ساقان غير متكافئتين طولا . أما رأسي المهول فإنه قمة لما في بدني من تشويه وقبح . وفي وجهي عينان صغيرتان مستديرتان في محجرين عميقين ، وأنف أفطس ، وفم واسع غليظ أشبه ما يكون بفم الضفدعة . وفوق ذلك ترى جبهتي الضيقة بين أذنين أكبر حجما مما تكون في العادة الآدان . وتجد كذلك في وجهي علامات تريك مبلغ ما صنع الجدري إنهم بلحم وجهي حين بليت به وأنا في الثانية عشرة من عمري . وفي رجلي اليمنى عرج بسبب سقطة سقطتها وأنا صغير . حقا إني كومة من القبح . ويقول لي الناس إني لأول وهلة أمثل لمن يراني صورة قرد أسود . وليس يضحك الناس حتما إذا أبصروا قردا . وإنما ينبعث ضحكهم حين يروني لأني أشبه القرد وأنا إنسان ! وبينما كنت سائرا في الطريق ذات يوم إذ سمعت من يقول عني لصاحبه : إن هذا

الرجل يذكرني بأحدب نوتردام ! ومع أني لست أحدب لم أقف مرة لأحتج على مثل هذا . ولست أنا على كل حال من يقطع ماذا تذكر الناس صورتي أو من يذكرونه حين يرونني . على أن ضحكهم مني قد علمني من نفسي الكثير . وإني لأتكمش حتى ليتداخل بعضي في بعض إذا أبصرت الغانيات يخطرن في حللهن المزركشة الزاهية الألوان ، لأنهن يشحن عني في سرعة كما يفعل البراهمة إذا وقعت أبصارهم على بومة هم منها يتطيرون . وهن حين يرفعن في كبرياء أن ينظرن إلى نظرتهن إلى آدمي ... ويأبين أن يرعين شعوري كإنسان ، حينذاك أشعر أشد ما أشعر بحالتي الحزينة

ولما كنت قد وعيت حاسة إدراك الجمال كما يوهب أي إنسان ، فإني كذلك أستمتع بالنظر إلى ما هو جميل ، ولكن الناس يعدون ذلك مني جريمة لا غفران لها . وقصاري القول إن دنيانا هذه تملؤني جلاء أن أمثالي من البشر لا يستحقون أن يعيشوا فيها

لقد مات أبي قبل أن يشرق فجر الذاكرة في نفسي . وهكذا لم يبق لي مما يسمى حياة عائلية إلا حياة أمي المحزونة . وليت شعري على أي أبوي تقع تبعة قبحي المرعب المحزن ؟ أتقع التبعة على أبي ؟ أم تقع على أمي ؟ كلا إني لست أتوهمها كليهما . وفيم اللوم ؟ لقد ولدت . ومن يدري فلعلهما لم يريدا أو لم يتوقعا أن أولد . ولقد حاولنا أن نحتفظ بهيكل العائلة ، أنا الذي لم يبدو عودي ، وأمي التي لم يهو فرعها ، ولم لا ؟ أما ينبغي لهذه الشجرة العائلية أن تنبثق منها أفرع جديدة ، وأن تبقى حية نامية ؟

ولقد أخذت أمي تثير في نفسي الإحساس بالعائلة ، ذلك الإحساس الذي يهجس في نفس كل رجل لأنه كائن اجتماعي . فسألتني أمي قائلة ذات يوم : ألم يأن أن تجيء إلى بيتنا بعروس ؟

ولم يفاجئني سؤال أمي ، فأجبتها وأنا أهدهد قلبي المحزون : نعم يا أماه حين تسنح الفرصة

وأخذت أمي تستشير جاراتها اللاتي أبيضت رؤوسهن . وقضت في ذلك عدة أيام . ولما كانت تعود إلى يوما بعد يوم ، ومض الألم في معارف وجهها ، أصبح مرآها مشكلة تحيرني . وكنت أسألها كل يوم : ما خطبك يا أماه ؟ فتجيبني قائلة : أوه ... لا شيء يا بني . وكان يخفق مع هذه الإجابة قلب أم يفعمه اليأس وقلة الحيلة

وتصرم أسبوعان ، ولم تعد أمي تغادر الدار . وأخذ يضحك مني حتى من لم يكونوا يضحكون من قبل ! ونظر إلى ذات يوم

رجل وخط الشيب رأسه فقال فى كثير من الشفقة على : يا له من مسكين ! لم جهدت أمه لتحصل له على عروس ؟ يا إلهى لم يخلق رجل مثل هذا ؟

وبدأت استعمل الأصباغ وأتخذ وسائل الزينة سرا . ولبست الملابس الأنيقة ، ولكن ذلك لم يزد الناس إلا سخرية منى وجعل ضحكاتهم أعلى مما كانت . فهل أصبحت أشد قبحا ؟ ذلك ما تبينته بعد حين . فإن الاستحمام لن يجعل من الغراب يمامة كما يقولون

لكى استأنف ما بدأت من قصة حبى أقول إنى أخيرا ، أنا الذى ذكرت لك من سفاتى ما ذكرت ؛ أنا أيضا ، وجدت لى حبيبة ! وأكبر ظنى أنك تتوق إلى معرفة نفسى أو الجانب الإنسانى من حياتى وأنك لم تعد تطيق سماعها . إذن دون هذه القصة

لقد طالما تمنيت أن أحب وأن أكون محبوبا . أليس ذلك طبيعيا ؟ وإن قصة حبى لقصة عجيبة حقا . فهى تدور حول شابة أحبتنى ثم ارتضتنى زوجا دون أن تلقى بالها قط إلى عيوبى التى نفرت منى جميع الأعين وكرهتنى إلى كل الأنفس .

لقد انتهت محاولة أمى لتحصل على عروس بالإخفاق ، فلن ترضى امرأة أن تصبح زوجا لامرئ هو فى حقيقته بين القرد والإنسان

ولقد أدى بها ألمها من هذا الإخفاق إلى ضرب من الإعياء ، أراه طبيعيا فى سن متقدمة كسنها . ثم برحت بها العلة فلم يعد يرجى لها شفاء ... وأخيرا فإن أمى هذه ، أمى التى كانت تبرد حشاى وتثلج فؤادى المحترق بما تسبغه على من حنانها ، أمى الحبيبة التى ظلت تربط بين نفسى وبين هذه الحياة البغيضة برباط ذهبى من حبها ، أمى التى كانت حياتى ، والتى ترى نوعا من الجمال حتى فى قبحى المروع .. أقول إن أمى هذه قضت نحبها من فرط الحزن وخلفتنى وحيدا . ولست أذرف الدموع عليها ، فإن تألمها لى لم يدع لها فضلا من قوة لتتحمل أكثر مما تحملت .

لم تطل بى الوحدة ؛ فقد حدث بعد أيام أن سمعت نقرات عكاز على الأرض أمام بيتى أعقبها صوت فتاة تقول : أعطنى شيئا ياسيدى . شيئا أمسك به حياتى ، وكانت فتاة ضحاذة . وعادت تقول : إنى ضريرة أيها السيد فهل من صدقة ؟ فنظرت إليها ثم نظرت إلى عينيها فبعث مرآها الرثاء فى قلبى .. وتفكرت وأنا أنظر إليها وقد نسيت حالى . فقلت لنفسى : يالها من مسكينة ! إنها شابة ولكن ليست لها عينان . فليس يمكنها فى حياتها هذه إلا السمع . اللمس

ولم تكن هذه الفتاة ذات حسن . ولكن

جسمها التناسق الأعضاء كان يوحى إلى النفس روعة الشباب . يالها من بائسة ! إن قلبي ليعطف عليها وإنه ليتجه إليها

قلت لها في رفق : تستطيعين أن تدخلي وأن تجلسي هنا لحظة . فمدت يدها تتحسس موضع الباب ، فنهضت وأمسكت بيدها وقدتها إلى داخل البيت . وكانت هذه أول مرة تلمس فيها يدي يد فتاة ، وكان ذلك قلبي مثقل بما ينطوي عليه من عواطف حزينة مكبوتة . ونظرت ثانية إلى وجهها . فوجدت رونق الشباب في هذا الوجه البائس ، على الرغم من هاتين العينين اللتين انطفأ نورهما . ولم يكن صدرها الناهد بعيدا عن صدري . وأخذت تسري في بدني رعشة كما لو كنت أرتعش من البرد ، قبل أن أنتبه إلى سالتي هذه . ثم ارتهكت مفاصلي ، وأحسست بشفتي تتفرجان ، وبأنفاسي تسرع كما لو كدت ألهث .

وقدت الفتاة إلى مقعد في نهاية الشرفة وقلت لها : تستطيعين أن تجلسي هنا . هل أحست بارتعاش يدي ؟ لست أدري . وأعطيتها بعض ما طهوت من طعام وعملة صغيرة

وقالت لي إن اسمها ليلى ، وأنها تعيش مع أمها العجوز في كوخ ذي سقف من القش على مقربة من أحد المصانع الكبيرة في المدينة . ولما همت بالخروج سألتها أن تجيء ثانية إلى

وأخذت ليلى تجيء إلى بيتي من حين إلى حين ، ثم أصبح ذلك عادة لها . وصرنا نتحدث في أشياء كثيرة ، وأحسست أني أتخفف من أثقال قلبي ومن أعباء حياتي . وصرت أجد في بعض ساعات الحياة ما يرضي المرء بالعيش !

وآسفا على عيني ليلى ! لو كانتا تبصران لزاد ذلك من جمالها . أليست نظرة المرأة كفيلة بأن تفقد الرجل صوابه ؟ ومع أنني علمت ذلك من تجارب غيري من الرجال فأنا أستطيع أن أدرك معناه . إن قلبي المحروم له كذلك أمنياته ؛ على أنه ليس بغيب عني مبلغ ما في أمنيتي هذه من حماقة ... ولكن لم أعمى ذلك ؟ لعلها لم تكن تتخذ الشحاذة سبيلا للعيش لو كان لها عينان . ولو أنها اتخذت الشحاذة عملا ، فما كانت لتقبل مني إلا ما أعطيها من صدقة . كلا ما كانت عيناها لتجعلاها تجيء إلى بيتي وتتحدث إلى كل يوم .. إلى أنا الذي عرفت من صفاتي ما عرفت

ولحظ الناس لقاءاتنا . ولكننا لم نكن موضع حسد عند أحد . ولقد كنت بسبب خلقتي التي هي مزيج من القرد والإنسان موضع سخريتهم من قبل كما علمت ؛ والآن أمدتهم قصة حبي لفتاة عمياء وتعلقي بها

بشيء جديد يضحكون منه ! ولشدما ضحكوا من هذا الائتلاف بين العمى والقبح ! .إنه لشيء مضحك .. أليس كذلك ؟

وسألت ليلى ذات يوم قائلا : ليلى ... ما ظنك بي ؟ وملأتني فرحا ابتسامتها التي يمازجها الحياء . فقلت لها : تعلمي يا ليلى .. إني أريد أن أعرف رأيك . فقالت في رقة شديدة : هل قلت عنك قط إنك رجل سيء ؟

وأحسست روح الإخلاص في كلماتها فملأني ذلك غبطة . وبدا لي فسألتها دون سابق قصد ، في لحظة من جيشان العاطفة أتحبينني يا ليلى ! وأحنت رأسها في حياء دون أن تتكلم . وشعرت أن كل ما في الحياة من جمال وسحر قد اجتمع في هذا المنظر

وانصرفت ليلى عقب ذلك . ليلى ! ها أنذا كذلك قد أصبح لي اسم أهتف به في شغف في هذه الدنيا الفسيحة الموحشة! أجل أصبح لي من أنتظر مقدمه في لهفة ومن أخرق إلى لقائه . وأصبحت حياتي حلوة ممتعة يشيع فيها الأنس . تلك حياتي التي كنت لا أجد فيها من قبل إلا الانقباض والعزلة .. أليس ذلك حظا عظيما ؟

إن الذين يسخرون مني هم أعدائي فماذا يكون الحال لو أنهم تحدثوا إلى ليلى عن قبحي وسوء حظي هذا القبح ؟ أتراهم فعلوا ذلك ؟ من يدري فلعلهم فعلوه . ولكن لا ضير ، فكيف تميز ليلى الحسن الجذاب من القبح المنفر إذا كانت لا تستطيع أن تميز النهار من الليل . لقد أخبرتني أنها ولدت عمياء . ولست أقول إن ولادتها عمياء هو حظي الحسن ولكن هل كان ذلك سوء حظها ؟

وجاءت ليلى في اليوم التالي وقد كنت أفكر في زواجي بها وكيف أحقق ذلك الزواج . أليس يقتضي زواجنا أن يشهد نائب عن الله كما يحدث في كل رباط مقدس بين رجل وامرأة ؟ ولكن ما من قسيس من قساوسة الله يقبل أن يشهد زواجنا . وإن لذلك لسببا . إن لهؤلاء القسيسين الذين ينوبون عن الله وجهة نظر دنيوية لا يفتأون يسمونها روحية . إني وليلى زوجان غير متكافئين في نظر هؤلاء . ولذلك فلن يقدموا لنا معونة مهما قيل لهم في وضوح وجهر أنه ما من أنثى غير ليلى ترغب أن تكون زوجا لي في هذه الدنيا التي يزيد فيها النساء على الرجال . وفي مثل هذه الأمور ليس غير تحدي كلمة أولئك الذين يقولون بأنهم ينوبون عن الله والذين يتولون هذه النيابة في أشياء مختلفة . ولعلك لم تحط بعد علما بأني مسلم

وسألت خطيبتي قائلا: ليلى أتقبلينني زوجا؟ وشعرت أنها ارتاعت لسؤالي هذا

وأخذتها منه دهشة . وقد جعلها لا ريب تذكرها أنى مسلم تفكر طويلا قبل أن تجيب . ثم سألتنى ماذا تقول ؟ وشعرت أن هناك حدا لما تشعر به هذه الشحاذة العمياء من عطف على . وعدت أقول لها : ليلى ! حسبك أن تذكرى أنى آدمى قبل كل شئ وأن الله أرسلك إلى . وما التقاليد والطقوس إلا من صنع الناس . ونظرت فى توسلى إلى شفتيها المرتعشتين ، وأحسست إحساس القاتل ينتظر كلمة القاضى . أجل فكانت هى التى تقضى بأن أحيا أو بأن أموت . وظلت ليلى صامتة . فقلت لها : تكلمى يا ليلى إنى أريد أن آويك وأن أحميك فعديني بأن تهبينى السعادة

فقالت أخيرا : سوف أجيب سؤلك ، لقد سمعت من الناس كثيرا من عبارات الازدراء يرمونني بها ، فكلما مررت بهم قالوا : هذه حبيبة نصف القرد ؛ وأظنك حسب أقوالهم لم تظفر بأى قسط من الجمال

فسألتها : وماذا تشعرين نحوى يا ليلى ؟

فقالت : لست أفهم معنى ذلك الجمال الذى يتحدثون عنه . ولم أر بالضرورة قردا وعلى ذلك فلست أبالى بما يقولون ؛ وهل كنت أشعر خلاف ذلك حتى ولو أنهم قالوا إنك أعظم الناس وجاهة ؟ بقلبى وحده رأيت الدنيا . وبقلبى أرى الجمال والقبح . إنك مسلم وأنا هندوكية ، فإذا لم يكن لديك ما يمنعك من زواجنا فليس لدى ما يمنعنى لقد حسبت أنه ليس فى هذه الحياة من يحبنى فى إخلاص ، ولكن . .

فقاطعتها فى لهفة : وما محل « لكن » هذه الآن ؟

فقالت : أجل . هناك « لكن » غليظة وراء تلك الجرعة المهينة حرفة النسول ليست لدى وا أسفاه أنوثة طاهرة أقدمها إليك ؛ لقد كان يظلم قلبى إلى الحب على الرغم من أنى عمياء . ولكن وعاء الشحاذة — وكثيرا ما كان بيت فارغا بالرغم من شحاذة اليوم كله — كان يضحك ضحكة شيطانية ساخرة من فراغ بطنى وبطن أمى فلم يكن بد من أن أذعن لملاب الشهوة من تلك المخلوقات التى كانت تطرق بابنا ونحن فى عول الليل . وليس ثمة من فائدة إذا شعرت نحوى الآن بالاشمئزاز بسبب ذلك . إنه ما من رجل يضع شيئا فى وعاء شحاذة فتاة بداعم البر . ولقد ظننت أول الأمر أن ما أبديته نحوى من عطف كان من هذا القبيل وأرجو أن تغفر لى هذا الظن السيئ . على أنى اليوم لا أشعر نحو آدمى غيرك باحترام ومحبة

وقد عندت الدهشة من كلامها لمعانى لحظات لم تعى قولها صمتة شديدة فبغيت

ساكتا لا أحير كلاما . وأخيرا قلت لها : ليلى : إن ما ذكرته هو قصة أنانية الرجل ، تلك الأنانية الرخيصة المنحطة ، ولن تخطر لى هذه القصة على بال بعد الآن . ولم تجب ليلى بشيء وظلت صامتة حتى انصرفت

وحدث الزواج بعد بضعة أيام ، وأحدث فى القرية ما أحدث من عجب وإثارة فكر وفضول . فلقد التقينا أنا عبد الله وخطيبتى ليلى ولم يشهد التقاءنا أحد ، ولم يقم على عقدنا شهيد ينوب عن الله ، ولا زكانى ولا زكاها . وأقسمنا كلانا أن نكونا شريكين فى الحياة.

وازدادت جلبة الضحك من حولنا ، وازداد فضول الناس وعلت قهقهتهم حين جاءت ليلى وأمها لتعيشا معى فى كوخى . وأصبح الذين يجعلون من أنفسهم أوصياء على المجتمع وإن لم يعترف بهم أحد أو يسندهم قانون ينظرون إلينا ويعرضون لزواجنا متسائلين فى دهشة ! ولم يفطن هؤلاء الناس إلى أن وراء هذه القصة ، قصة حبنا وزواجنا قلبين يحترقان . وحاولت أن أخفف عن ليلى ، وأن أذهب عنها الحزن فقلت لها : ليلى ! دعى الناس يضحكون فإنهم لا ريب مجانين

وأخذنا نعيش معا . ولست أقول إن حياتنا الزوجية كانت حياة سعيدة من جميع نواحيها . كانت معيشتنا زوجين مثارا شديدا لاجانب الإنسانى من نفسيتنا . هذا ما أصف به حياتنا الجديدة . أما عن الناس فإن ما تواضعوا عليه من أخلاق اجتماعية وتقاليد دينية ، يتخذون حولنا مظهرا انتقاميا عظيما فلا معونة لنا من أحد ولا تعاون معنا فى أية صورة ؛ وليس ثمة ما يشعرنا أو يوحى إلينا أننا نستطيع أن نعيش سعيدين . ولكنا أردنا أن نعيش وقد أخذنا أهبتنا لنواجه ما يصادفنا من مصاعب

وحدث بعد ذلك حادث جديد . إن ليلى بسبيل أن تصبح أما . إن تكوينى فى صورة فردية آدمية ، وإن عماها لم يحولا دون أن أكون أبا وأن تكون أما . ولقد تجاهلنا أحاديث الناس وسخريتهم . وماذا يهمنى من الناس ؟ إن ما لم أكن أحلم به من ضروب المسرات قد ظفرت به تباعا فقد أصبحت محبا ثم صرت زوجا . وها أنذا بسبيل أن أغدو أبا . لقد توجهت بقلبى إلى الله شاكرا نعمه ، فما أعظمه سبحانه ... يا عينى ليلى اللتين انطفأ فيهما النور .. إليكما ترجع هنائى !

ولكن المرض انتاب ليلى وبينها وبين أن تضع ما فى بطنها شهران . واستدعيت طبيبا فحصها ورحت أتوسل إليه أن ينقذها ، فقال : ليس فى الأمر ما يخيف

وسوف أشفيها . ثم سكت لحظة وسألني : أهي عمياء منذ ولادتها ؟ فلما قلت له : نعم فحص عينيها ثانية ثم قال بعد أن تفكر لحظة : إني قادر على أن أرد إليها بصرها بعملية جراحية ولكن ذلك مستحيل الآن فلندعها حتى تسترد عافيتها بعد أن تضع حملها

وهزت كلمات الطبيب قلبي من أعماقه وهزت شباب نفسي وهزت حياتي كلها . ماذا يقول الطبيب ؟ إنه يستطيع أن يعيد النور إلى عيني ليلى ! أإذا أبصرت ليلى أتراها ترتجف حين تراني وهي لا تعرفني إلا بأنني رجل له قلب جدير بأن يحب ؟ أتراها ساعة تستطيع أن تبصرني تبقى على محبتها أياي واحترامي ؟ ماذا ينبغي أن أقوله للطبيب ؟ لقد أردت أن أصيح قائلا لنفسي : لا ، إن عينيها لا تطلبان النور . ولكني وجدت نفسي أقول : ليلى ! يقول الطبيب إنه يستطيع أن يبرئ عينيك من العمى !

ورحت أردد في سورة آلية ما سمعته مني ولكن كيف أبين لها أن إعادة النور إلى عينيها إنما يتهدد حياتي من جذورها ؟ أأمنع النور عن عينيها ؟ ما هذا الذي أفكر فيه؟ وأي شيء يقف الإنسان دون بلوغه ليحتفظ بنور عينيه ؟ أليس شفاء الإنسان من العمى إذا أتيح له حظا دونه كل حظ ؟ إن ليلى التي عرفت قلبي وفهمتني من هذه الناحية حق الفهم لا تدرك الناحية الدنيوية من نفسي . لقد قالت لي : إذا كنت أستطيع أن أسترد بصري فإني راغبة في ذلك كل الرغبة ألا تجد سعادة في ذلك ؟ إني إذا استطعت أن أراك فسيجعلك ذلك تحبني أكثر مما تحب

ورأيت الرضا والأمل في وجهها حتى في مثل تلك الحال من المرض والألم ! أكان ذلك لمجرد أن حياة جديدة توشك أن تنبثق ؟

وكتب الطبيب الدواء وشرح لي كيف أسهر عليها وكيف أعطيها دواءه وقال : تعال عندي حين تسترد عافيتها بعد الوضع وسأحدثك عن تلك العملية حديثا مفصلا

ولبثت ليلى هادئة . ولكن رأسي كانت تعصف به العواصف من فرط تفكيري ، وكأن نارا تلهب ذهني . فذهبت إلى نهاية الشرفة وهناك جلست وحدي . إنني لا أستشعر شيئا من الراحة إلا في كوخي هذا الصغير وسوف أحرم حتى من هذا القدر المتقبل من هدوء البال . ما أضيق مضطربي في هذا الوجود ! ... كلا ... كلا .. إنك لن ترد إلى ليلى بصرها أيها الطبيب ! لقد تآمرت مع أعدائي الذين يتهمونني على قتلي ، ولكنك لن تقتلني فسأعجل أنا بقتلك !

لماذا قذفت بالنار على حياتنا ؟ كلا .. لست ألوم أيها الطبيب ... إن واجبك أن

تحارب الأمراض . وإن العمى لمرض من أقبح الأمراض وأشدها سوءا ، ولست تستطيع أن تقف حياله مكتوف اليدين . وعلى ذلك يجب أن تهب لها النور . إنك لا تدرى شيئا عن حياتى ... ليلى عزيزتى تستطيع أن ترى ؟ يا إلهى هب لها هذه النعمة التى يجب أن يسعد بها كل آدمى ... ولكن يجب أن أكون ترابا قبل هذا .. قبل أن تستطيع ليلى أن تدرك بعينيها ما ذا يكون الرجل الفردى ! وبذلك أعيش فى ذاكرتها وأنا ذلك الرجل الذى له قلب والذى أحبها فى إخلاص وآواها . ليت شعرى هل يبقى إلى الأبد حبها الخالى إياى وما تراه فى من جمال؟ إن قلبى ليبكى بين أضلعى !

ووضعت ليلى غلاما .. وعاد فضول الناس يتعقب هذا الغلام الذى عده سفيحا . وضحك بعضهم مقهقها كما تنهق الحمر ! أليس ذلك أمرا يحمل على الضحك وعلى الاستغراق فيه ! ولكن هذا الغلام الذى ولد لأب قبيح الشكل وأم عمياء برىء براءة كل مولود . وقد ورث هيئة أمه وعينى أبيه !

واستردت ليلى عافيتها ، وما كادت تحس القوة حتى ذكرتنى بما حملتنى أنانيتى على أن أمسك عن الإشارة إليه ، فقالت ألا تذهب الآن فتقابل الطبيب ؟ ولم تدر أى عاصفة بعثتها كلماتها فعصفت بقلبى

وكذبتها فقلت : نعم لقد كنت نسيت وسأذهب فأراه اليوم وأنظر ماذا يقول . ولقد كنت أعلم أنى كاذب وكنت كالذى يتعاذفه الموج . فخرجت من كوخى وعدت إليها بعد ساعتين أقول لها : لقد مات الطبيب . وكان ذلك قصارى من القول فماذا عسى أن أقول أكثر منه ؟ لقد ظننت أنى لن أستطيع أن أقول حتى هذا الذى قلت ! ولقد عجزت حتى عن أن أظهر بمظهر الزوج الذى يجب أن يفزعه ويحزنه نبأ كهذا ، نبأ موت الطبيب الذى كان يرجو أن يشفى زوجته من العمى ! وكان على بعد ذلك أن أحتفظ فى قلبى الذى يثخنه الألم بذلك السر الذى تولد من القسوة والأنانية .. آه .. لقد كان حملا أثقل من أن يقوى قلبى على حمله ، وإن ما فعلته ابتغاء الأمن والهدوء قد قضى قضاء مبرما على راحة ضميرى وهدوء بالى إلى الأبد

وأخذت الأيام التعسة تتعاقب يوما فى إثر يوم . وقد حدث أن رأيت ذات يوم حين عودتى إلى كوخى منظرا خليقا بأن يمزق نياط القلوب ، فقد نسيت أم ليلى أن تخرج من الحجرة طستا واسعا من النحاس كان فى وسطها . واندفعت ليلى صوب سرير ابنها وكان يبكى ولم تستمن بمكانها فعثرت بالطست فارتمت على وجهها وتفجر الدم من جبهتها ، وكان جرحها عميقا فحملتها إلى المستشفى

آراك تشعر كما لو أردت أن تضحك الآن؟ ثم بعد لدى مايدعوني إلى الشكوى . ومن ذا الذي يبالي بشكاتي ؟

ليلى يا عزيزتي .. يا حياتي ... يا دنياي ! لقد استدعاني أحد الأطباء وقال لي : لا بد أن سقطتها كانت شديدة مرعبة فإن جرحها خطير . ومضيت إلى ليلى وكانت راقدة تتلوى من فرط تألمها وحدثتها فقالت وهي تجهش :

أجئتني ؟ إني ذاهبة .. آه لو كنت أستطيع أن أراك مرة واحدة بعيني !

وبدت لي رغبة ليلى هذه الأخيرة امتحانا لبلوغ تحملي . أتراها حزينة لأن الطبيب الذي كان قادرا على أن يرد بصرها إليها قد مات ؟ لقد لاذت بالصمت ...

قلت لها : ليلى لا تحسبي أن رؤيتك يا بصيرك أمر جدير بالاهتمام ، ألم تريني بقلبك النقي الكبير إني أعلم أنك وحدك في هذه الدنيا التي رأيتني كما ينبغي أن أرى . وإن الناس لا يستطيعون أن يرى بعضهم بعضا بأعينهم ، وعلى ذلك فلتطيبي نفسا يا عزيزتي ، وستبرئين من مرضك عما قريب .

وأصغت ليلى إلي ثم أعقب ذلك صمت .

وكانت الشمس قد جنحت للمغيب وأخذت ليلى تتعجب . وأخذت أحس مرارة الألم . وشعرت بأن بعض الذي ينوء به قلبي يوشك أن ينبعث منه على رغمي . ورأيت ألا قبل لي بأن أظل قائما حيث كنت . وجاءت أم ليلى بالغلام فوضعته إلى جانب أمه . وبدأ يصرخ هذا المخلوق الضئيل ولعله اختنق في ذلك الجو الدرامي الذي أحاط بنا . وراحت تبكي كذلك أم ليلى . ووجدت نفسي بحيث لا أستطيع أن أملك لهم شيئا ولا أملك لنفسي نفعا

وذهبت نفس ليلى الصافية إلى بارئها في هدوء . ولست أذكر ماذا فعلت حينذاك . لقد وقفت نبضات قلبي ، وزلزل حوله قلبان . وعندئذ غربت الشمس وتكاثفت حولي الظلمة . ولا يزال أولئك الذين لم يدركوا ما كان وراء قبحي المرعب من آلام وآمال والذين لم يقفوا على قصة حبي العجيبة . يضحكون مني كلما رأوني . وإني لأسأل نفسي أحيانا : ترى ماذا كانت تصير إليه قصتي لو أني كنت أعمى كذلك ؟

محمود الخفيف

ولدها

للأستاذ كامل رستم

أيها الأصدقاء، لا تهزأوا بي إذا قلت لكم إنني كنت بسبيل أن أرتكب يوما جريمة مروعة ! .. إنكم لا تستطيعون أن تتصوروا أن مثلي يقدم على قتل ذبابة ؛ ولكن الحقيقة أنني كنت سأقتل .. لا رجلا رشيدا .. بل طفلا عريرا لا تعدو سنه الرابعة !

دعوني أقص عليكم قصتي فهي لا تخلو من عبرة وعظة !

كنت في السادسة والعشرين حينما غزا الحب قلبي ! ولم أكن بمجدود الطالع لأنني لم أحب عذراء بل تعلقت بسيدة فارقت زوجها بعد أن استولدها طفلا ! وكانت في التاسعة عشرة حينما تعرفت بها ! ولم يكن في سماتها شيء ما ينبيء عن أنها سيدة . كانت تبدو عذراء أكثر من العذارى .. في جمالها ورشاقتها .. وروحها العذبة ! واندفعت إليها اندفاعا جنونيا .. اندفاع العاشق المسلوب الإرادة والعقل ! ومع أنها أنبأتني منذ كان لقاؤنا الأول أنها أم لطفل ؛ إلا أنني لم أجد في قولها خطرا يهدد حبنا على الإطلاق !

جرى كل شيء في مجراه الطبيعي .. وشعرت أنني في حبها أسعد من على بسيطة الأرض حظا وجدا ! كنا نلتقي في الأماكن العامة والمتنزهات الخلوية .. وكان حديثنا هو حديث الحب الشائق ، ولم يحدث أن فكرت في طفلها .. فإن حدث هذا كان تفكيرا سطحيا لا يبلغ أغوار النفس .. وأعماق الشعور ! ومع هذا كانت العقبات تعترض سبيل سعادتنا ! كنت أعلم أن أسرتي المحافظة سيهولها العمل الذي كنت بسبيل أن أقدم عليه ؛ فقد كنا أجمعنا أمرنا على الزواج .. وكنت أعلم أن هناك غير ظروف الأسرة ظروفا أخرى قاسية تجعلني أروي النظر في هذه الخطوة الخطيرة : خطوة زواجي من سيدة !

إن الناس سيديرون الحديث عن زواجي ويذهبون في تأويله كل مذهب .. ولن يحلو الأمر من فضولي حتى يلقى على مثل هذا السؤال :

لم تزوجت من ثيب ... والعذارى

كثيرات ؟

ومع أن حياتى الخاصة حرم مقدس ليس لفضولى أو متطفل أن يدس أنفه فيه إلا أن الناس درجوا منذ قديم الزمان على أن يدسوا أنوفهم فى حياة الناس رضى هؤلاء أم كرهوا !

كانت هذه الحقائق القاسية تكدر هنائى وتنكر صفوى حينما أخلو إلى نفسى .. ولكننى كنت أنسى كل شئ .. كل شئ حينما أكون بين ذراعيها العبلتين !

وعن لى أن أشرك بعض الصحاب .. بعض الأصدقاء فى مشكلتى .. وأن ألتمس لديهم صواب الرأى فأنكروا على زواجى من ثيب قائلين :

— أيكون أول « بختك » سيدة ؟

كنت لا أعى ما يعنون .. ماذا لو بنيت بثيب أو بفتاة ما دمت أحبها ؟

ترددت طويلا قبل الإقدام على الزواج من حبيبتى ، وشرعت أقابل بين زواجى منها وانفصالى عنها . فلما رأيت أن مجرد خاطرة الفراق تملأ نفسى هلعا وقلبى رعبا لم أجد مفرا من التسليم بنصيبى المقدور وقلت لنفسى إننى مغلوب بها مصبوب عليها ومحال أن أفترق عنها دون أن يؤثر ذلك فى نفسيتى وأعصابى !

وشئت أن أتحقق من موقفها بالقياس إلى ولدها فيما لو تزوجنا فأكدت لى أنها راضية نفسها على العيش بعيدا عنه وأن جدته كفيلة به وقالت والابتسامة الآسرة على شفتيها :

— لن تشعر أبدا بأن لى طفلا !

وتزوجتها !

وبقى زواجى منها سرا مغلقا حتى بالنسبة إلى أقرب الناس إلينا .. ولم أكن رغبت أمرى لاستقبال حياتى الجديدة فقبلت أن أدعها بعض الوقت عند أسرتها .. وبين أوفق إلى مسكن خاص بنا !

والآن تدبروا أيها الأصدقاء موقفى وانظروا كيف أن خطأ يسيرا قد يكون له كل الأثر فى تشكيل حياة الإنسان وتغيير مجراها . لقد رأيت ثمة طفلا عيونا تدمعه الغيرة العمياء إلى إتيان أعمال شيطانية ولمست فى نفسى نحوه شعور العداء والكراهة والمقت .. هذا الطفل الغرير فى الرابعة من عمره لم يكن يدعنا لحظة واحدة نخلو إلى نفسينا .. وتهيأ بحيلنا

فما كانت تحتوينا حجرة إلا رأينا الباب يصطفق فى قوة وعنف ثم يتجلى الطفل واقفا أمامنا بسحنته البغيضة يشرع عينيه إلينا فى حقد جنونى ! لم يكن طفلا غريرا بل عاردا صغيرا ! ويظل هذا العارد الرجيم ماثلا أمامنا ليس فيه سوى عينين تقدحان

بالشرر وأراني دون وعي ولا تفكير أراحي عن أمه ذراعي .. وقد ذكرت في نفسي صده ثورة عارمة .. بينما تصعد إليه بصرها وتقول له في غضب يشيع فيه الحنان المستور

— ألم أقل لك لا تدخل إلى هنا ؟

ثم تأخذ في ملاطفته إلى أن زايل الغرفة ولكنها بمرور الأيام وترادف الحوادث أدركت بغريزة الأنثى التي لا تخطئ أنني بدأت أسمو من هذاة الحب الحالم .. وأنني شرعت أعير الأشياء .. أدركت أن الطفل الذي لم يكن له أثر في حياتي صار له الآن كل الأثر !

وفي يوم كانت فيه مشاعري مهتاجة .. وأعصابي ثائرة، فلم أستطع أن أحتفظ بسمات المجاملة التي ألفت أن أكسو بها وجهي كلما عليت الطفل . وقد وقع أن رأتني أحتوي أمه بين ذراعي فاتجه إلينا وفي عينيه تصميم وعزم ثم ارتمى بكيانه الصغير على أمه وشرع يجذبها من شعرها ليحررها من بين ذراعي .. وراحت هي ترسل ضحكاتها الناعمة السعيدة ؛ وكأنما أدرك الطفل قصور وسيلته وعجزها فانهال على ظهرها بقبضتيه الصغيرتين ضربا ولكما .. وفي غير وعي ولا إدراك أهويت بجمع يدي على رأسه في ضربة مغيظة محنقة . كانت قد أثارت الكراهية الثاوية في أعماق في ثور مجنونة ضد هذا الطفل الدلال .. الطفل اللعين !

تراخت قبضة الطفل .. وراح يحدق في في ذهول وضعف .. ووقف منا غير بعيد لا ينتحب ولا يبكي . . وإنما ينظر إلى وفي عينيه ذلك البريق الإجرامي .. هذا الطفل الذي كان لا يعدو الرابعة .. والذي كان الكلام يتعثر على شفتيه ، عدد له غريمي ، في حبها وحنانها وتفكيرها !

وأدرت بصري عنه .. وصعدته إليها .. فاجتلبت في عينيها نظرة قاسية .. سرعان ما تحولت إلى نظرة عاتبة !

وكان في هذه اللحظة أن عرفت أن حبي لها مهدد بوجود الطفل .. ولم أستطع أن أداري عواطفي فعلا وجهي وجوم .. وفترت قبلاتي وخلت من الشغف والانفعال ورأيتها تضمني إلى صدرها في قوة وانساب إلى صوتها الناعم وهي تقول :

— أيها الطفل الكبير . . أتغار من صغيري وأنت تعرف أن لك حبي كله . . لك وحدك ؟

ولأول مرة أيقنت كذبها !

وتطلعت إلى ولدها ونهرته ولكنه ظل واقفا لا يريم فقالت في غضب :

— أخرج —

مضى الطفل في خطوته المتعثرة صوب الباب وقد استدار إلينا بجسده الأعلى وفي

عيبه نظرات التحدى والمقت !

وتشكل تفكيرى منذ كان هذا الحادث وشرعت أرنو إلى المستقبل بغير العين التى اعتدت أن أرنو بها فى الماضى .. لم يعد هو المستقبل السعيد الهانئ الذى طالما رأيته فى أحلامى ! وإنما هو مستقبل ينذر بالفشل ويوحى بخيبة الرجاء !

وكان أقسى ما يحز فى نفسى أن أعلم أن طفلا صغيرا هو سبب شقوتى وتعاستى وأننى لا حيلة لى فى مقاومته ومناهضته لأنه يتصل بأمه بأسمى العواطف وأرفعها وأبقاها على الدهر ! وهذا الطفل هو شاغل الأول .. كما غدوت أنا شاغله الأول كذلك ! وبات وكده أن يعكر الصفو الذى يكون بينى وبين أمه . وكنت أعجب لدهاء الطفل ومكره المبكرين فما أن يرانى أخلو إلى أمه حتى يطالبها بمطالب لا تكاد تنتهى :

— أمى .. أريد أن آكل ...

— أمى .. أريد أن أخلع الحذاء ...

— أمى .. أريد فرشا ...

— أمى .. أريد أن أنام ..

ولم يكن يرحب فى هذه المطالب ، إذا أحضرت له أمه الطعام عزف عنه واجتواه ! وإذا خلعت له الحذاء عاد فسألها أن تعيد وضعه فى قدميه .. وإذا قدمت له فرشا ليزايل الغرفة وقف فى مكانه لا يريم ! وإذا حاولت أن تهدده لينام ظلت عيناه يقظتين كأنه ذئب صغير !

كنا نجلس هى والطفل وأنا ... ثلاثة نفوس مضطربة ثائرة ! هى تأخذها اللهفة على ولدها وتحقد على ! والطفل يغار منى ويحقد على ! بينما كنت أنفس على الطفل حب أمه له فحقدت عليهما معا !

وبدأت تعشش فى رأسى الأفكار السود ! بدا لى أن شعورى بالضجر لأننى تزوجت من تيب لم يكن أمرا قابلا بالقياس إلى ما قاسيته من هذا الطفل الذى أنجبته من زوجها الأول !

زوجها الأول ... لم لا يضم هذا الرجل إليه ابنه بعد أن تزوجت أمه ؟ أيها الأصدقاء تدبروا هذه الحقيقة المؤلمة وانظروا كيف أن بعض الرجال لا يفكرون بالمستقبل ! ثم يتزوجون وينسلون ثم يطلقون ! ثم تكون هذه النتيجة الوخيمة .. أطفال هجرهم آباؤهم . أو نزحت عنهم أمهاتهم ، فتتعقد نفوسهم الصغيرة ويلقى بهم إلى قلوب غير رحيمة .. وأيد غير أمينة .. وإذ يحرمون من الحنان ذلك النبع الصافى : وهل أملك إلا أن أعترف بأننى كأحد الذين قدر عليهم أن يدفع إليهم بطفل من هذا القبيل ، لم أكن أشعر له فى أعمق نفسى سوى شعور المقت !

وأقسم لكم غير حانث أنى حاولت جاهدا أن أجرد من نفسى هذا الشعور البغيض .. ولكن ذهبت محاولتى كلها سدى وقبض الريح !

* * *

هجرت هذا البيت اللعين حالما عثرت على مسكن لنا ... وتنفست الصعداء ... وبدأت أرسم فى خيالى صورة زاهية للمستقبل الهانئ السعيد .. هذا هو العش الجميل الذى كانت صورته تومض فى خيالى .. ها هو ذا يصبح حقيقة واقعة .. فلا طفل صغير يعكر هناءنا ولا أى شئ ...

ودرجت الأيام ولم أر الطفل ... فتبددت طائفة من هواجسى واوهامى ... ولكننى من فرط هلعى من الطفل ... تحكمت فى سلى من أمه .. كان قد وقر فى ذهنى أنها ستغير من طباعها وتبدل من سلوكها متى حملت منى فتطالبنى بأن أضم إليها ابنها ؟ وبعد أن يتعقد مابينى وبينها .. كيف يمكن إلا أن أخضع لإرادتها وأنصاع إلى أمرها ؟

وراحت فى أعقاب ذلك تحاول جاهدة أن تكشف لى عن مفاتنها .. وأن تؤكد لى صدق عواطفها ... إلا أن هذا زادنى حرصا على حرص ... وأبدا لم أفكر فى أن أغير سلوكى معها . فظللت دائما الحريص على الا أنجب منها أبدا ! وبقيت هكذا وقتا غير قصير موزع النفس مشترك الذهن ... تتنازعنى عوامل الثقة بها والريبة فيها . وغدا ما بينى وبينها أعصاب حبيب ! فأينا فقد سيطرته على أعصابه كشف عما استتر من مشاعره ؛ ولكنها كانت حديدية الارادة فولاذية الأعصاب .. ولم أكن دونها صلابة وعزما . فاستمرت الحرب الخفية بينى وبينها .. وعلى شفتى كل منا للآخر ابتسامة كبيرة !

وأحضروا الطفل بضع مرات إلى منزلى ، وكانوا يتركونه إلى أن يأتى المساء فيعيدونه إلى جدته .. كان هو الطفل النيور الشرير الذى يلتمس السبيل إلى التحرش بى !

ووقر فى ذهنى أن والد الطفل لا جرم مجرم ! إنه كان مزارعا . الانتقام شرعته .. والفأس أداة هذا الانتقام ... فالذى يجعل هذه البذرة لا تنحدر إلى ابنه وتترعرع ! والوالد كما يقولون سر أبيه ! أى عدل أيها الأصدقاء فى أن أتحمل دونه هذا العبء الكبير ! لماذا يتزوج الرجل وينسل كالحيوان .. ثم يترك ولده مضيعا مهيض الجناح للغرباء ... لئن كان والده برما بابنه فصدور الناس به أشد ضيقا وبرما !

ورأيتنى بعد هذا تنمو بنفسى رغبة طائشة ... ورغبة مجنونة فى أن أضرب هذا الطفل وأعذبه وأشقيه ! .. الطفل الذى

يأكل من بيتي .. ويثار مني ويحقد علي !..
الطفل الذي تتربص بي أمه الدوائر كيما تكرهني على الإنفاق عليه ! كرهته كراهة مرة .. !

عددته سارقا !. مجرما !. وكنت أشقى الشقاء الكبير عندما أراه يركض في بيتي على رغم إرادتي كما يركض الأطفال ، ويلهو ويلعب كما يلهون ويلعبون !

حدث أيها الأصدقاء ذات يوم .. هذا الذي أنا بسبيل أن أقوله لكم ! بعثت به إلينا جدته مساءً بالنهار رئوى . وتركت لأمه أن تسهر على برئه وعلاجه . خيل إلي بادئ الأمر أنني جردت نفسي من نوازع الشر ، وأنني نسيت كراهيتي لطفل برئ لا يعي ولا يعقل ! . فذهبت به إلى الطبيب وأحضرت له الدواء وسهرت أمه على حقنه بالمصل الشافي ! ..

ستة أيام أيها الأصدقاء لم يغمض لي فيها جفن ، حتى أشرفت على الهوس والجنون. وهالني في ظل مشاعري الجديدة أن أرى الطفل الذي كان بسبيل أن يموت فيخلو لي الجو مع أمه وتصفو الحياة ؛ تشاء له الأقدار المصرفة أن يبرأ من مرضه على يدي .. وأن يمتد به العمر ليكون الخطر الماثل دائماً لسعادتي وهنائي ! . مسح الله ما به . وزايله المرض ...

وارتدت إليه العافية الغاربة ليطالعني بسحنته البغيضة . وابتسامته الخبيثة من جديد !

وجاءتني أمه لتقول لي بعد أن غدا سليما معافى :

— سيبقى هنا تحت ملاحظتي وإلا انتكس !

واحتدم الغضب في صدري لأنني كنت أنتظر يوم رحيله في صبر أرعن فصحت بها:

— لن يبقى غير هذه الليلة . أتعرفين ؟

وشاع الغضب في وجهها وهي تقول

— بل يبقى . وإلا ذهبت معه إلى أمي !

— اذهبي معه إلى الجحيم !

وزايلت المنزل كأشقى ما أكون إنسانا !

وانطلقت إلى الطريق تحتضنا أفكاري ! كانت في الجو نذر عاصفة مقبلة من بعيد ! ولكنني ظللت ذاهلا بأفكاري عن العاصفة والوجود والخلق جميعا ! تحقق لي أنني جانبت الصواب حينما لم أقدر عاطفة الأمومة . كنت في غمرة عاطفتي سادرا في أوهام الحب وسابحاً في خيالاته فلم أدرك هذه الحقيقة القريبة !

وبعد أن مضيت على وجهي طويلا في الطرقات دون قصد ولا غاية .. أبت إلى المنزل لأن السماء أرسلت وعودها وسبولها . ودلفت من فوري إلى غرفة النوم . وأصأت النور . رأيتها مستغرقة في النوم والطفل بين ذراعيها تتحدى به الموت أن ينتزعه منها .

وراحت الخواطر تتراكب فى ذهنى .. وفجأة رؤت من بينها خاطرة فذة ! خاطرة مجنونة !.

إن الطفل ما زال فى دور النقاهة .! فلو فتحت الآن نافذة الغرفة على مصراعيها ، ونحيت الملابس والأغطية عن صدره المريض. فى هذا البرد القارس والمطر الهاطل لارتد إليه المرض عنيفا قتالا !

أدرت هذه الخاطرة فى ذهنى طويلا وأنا أنصو عنى ثيابى المغسلة بماء المطر . وما كدت أفرغ من خلعها وارتداء منامتى ومعطف المنزل حتى استملت منها نظرة خاطفة . فرأيتها ما زالا مستغرقين فى النوم !.

مضيت فى صمت وهدوء إلى النافذة وفتحتها على مصراعيها . أحسست بتيار الهواء يندفع إلى الغرفة باردا قارسا مميتا !

ووقفت برهة ألتقط أنفاسى وأقتحم من البرد . ثم مضيت فى خطوات واثبة . فى خطوات مخنوقة إلى الفراش . وفى خفة ولطف نحيت الثياب والأغطية عن جسده ، وفى لحظة كان صدره النحيل المريض يتلقى النفحات الأولى للبرد القاتل !

ومرت لحظات رهيبة راح بعدها الطفل يسعل ، فإذا الزرقة تعلوه ، وإذا أنفاسه تتلاحق ..

كل شئ كان يسير وفق الفكرة الشيطانية التى كانت تعشش فى رأسى ! كل شئ .. وينتهى الأمر !

أيها الأصدقاء لا ترمونى بالوحشية والقساوة . فقد رأيت كم هو رقيق ذلك الحاجز الذى يفصل أشرف الناس وأكرمهم عنصراً عن الجريمة .. لذلك لم أنجز العمل الإجرامى الذى شرعت فيه !

استيقظ ضميرى فجأة واستهولت أن أكون قاتلا أثيما . فاتجهت من فورى صوب النافذة فأغلقتها ، وإلى الطفل فأحكمت تغطيته بالثياب والأغطية ! ثم هذا كله فى لحظات مرت كأنها الأبد ! ولما لم تكن بى رغبة فى النوم ولا قدرة عليه فقد دلفت إلى غرفة مكتبى وظللت هناك مسهدا أرقا أقلب وجوه الرأى وفى قلبى كآبة كبيرة !

وعندما طالعتنى آخر الأمر تباشير الصباح كنت قد أجمعت رأيى على فكرة واحدة هى أن أفترق عن الطفل وأمه قبل أن يتعرف ذلك الستار الرقيق الذى يفصلنى كما يفصل أى واحد منكم عن الجريمة

كمال رستم

وأخيرا استجبت

بقلم الأستاذة رتلف حكيم

لقد طالما أصغيت إلى الصدى المروع لوقع خطواتى فى الممر الخالى ، إنه نغم محزن ، يبعث فى نفسى وحشة أستجير بها من الوحدة ، فيزداد شجنى

يا إلهى أعنى على التغلب على هذه الوحدة الموحشة . وأدرت وجهى نحو باب ملجأ أبناء الشعب ، ورجوت الله تعالى أن أجد رضيعا هذه المرة لأبنائه ، فقد قرأت فى وجه زوجى « هانك هارت » الوسيم شدة ولعه بالخلف عندما تركت المزرعة هذا الصباح ، وقت أن هتف بى « مارجورى » وكأنما عرف تماما ما انتويته فقال : إذا لم تجدى رضيعا هذه المرة أيضا ، فلا بأس من إحضار طفل أكبر . ولكنه إذ صرح بهذا لم يقدر أبدا شدة ولعى وتعطشى لضم رضيع بين ذراعى ، كما لم يقدر تماما شعورى بالضياع عندما تكبر العجول التى فى المزرعة ، ولم تعد تحتاج إلى رعايتى لها . كم رغبت أن يكون لى رضيع حتى ولو اشتريناه من السوق السوداء ، كما فعلت أختى « ليلى » ولكن يا إلاهى ... هل نشترى رضيعا كما نشترى صغار العجول ! إنى إذا فعلت ذلك ورضيت به فإن « هانك » يتأبى

وكرهت مجرد الفكرة أنا أيضا . ولكن ليلا قد تبنت إبنا رضيعا ، وعلقت أملا كبيرا على أن يصون هذا التبنى حياتها الزوجية ، وها قد رحلت موفقة هى وزوجها « ركس » من سنة مضت إلى المدينة محل عمله ؛ وما زلت أنا وهانك بلا ولد هنا ، نعم هنا بالريف الهادئ

وقابلتنى الموظفة المشرفة بالملجأ مقابلة لطيفة ، وأخبرتنى فى ظرف أن الآنسة « شبرد » الرئيسة تنتظرنى ، فنهضت من فورى ، ولم أحاول النظر طويلا إلى صف الكراسى الذى طالما جلست عليه مع مثيلاتى ننتظر الساعات الطوال ، وكانت الكراسى خالية من الجليسات هذا الصباح ماعدا بنية صغيرة جالسة ، يبدو عليها الاستقامة والجد ، وترتدى ثوبا قطنيا جديدا كانت تواتى لمسه بأصابعها الدقيقة فى حرص

وبينما نقرت على باب حجرة رئيسة الملجأ رجاء لدخولها . كانت هذه الصغيرة أسرع من

البرق قد وقفت إلى جانب منضدة المشرفة وسمعت الطفلة تسر بالكلمات الآتية فى أذنها : هل أنا هنا لأجد أما وأبا اليوم ؟ أرجو أن يكون ذلك ؛ ومازلت أسمع الطفلة تسأل هذا السؤال بعد أن دخلت غرفة الرئيسة وأغلقت بابها . وسألتها إذا كان تسميها باللجأ رضيع أبنائه ؟ فنظرت إلى وابتسمت ابتسامة ود ، وطلبت إلى الجلوس لأنها تريد أن تتحدث إلى — ثم أخبرتنى بأنه توجد أزمة بالنسبة للرضع الذين تطلبهم الأسرات للتبنى ، كما توجد صعوبات جد خطيرة لعدم الثقة بإيجاد الوالدين الصالحين لتحمل المسؤولية ، وحدجتنى بنظرة فاحصة دقيقة ، فخفق قلبى وزاد نبضى ، ومضت قائلة : نعم نريد والدين يتبنيان أطفالا كبارا فتنقلب على نفسى ملل شامل من جديد ، ولكن عينى الرئيسة اليقظتين ، ونظراتها الثاقبة فتحتا طريقا لتفكيرى ، وبددت يأسى ، وفى يسر اختبرت نياتى ، وبلباقة فحصت منزلنا المتيق بالمزرعة عندما زارتنا ، ثم سألتنا فى تعجب لماذا يريد كل إنسان أن يتبنى رضيعا — فى حين يوجد أطفال أكبر ليس لهم أسر ولا والدون ! ثم قالت مخاطبة إلى : أريد مساعدتك ياسيدة (هنرث) لأنى أعتقد أن الأسباب التى أبديتها تجعلك جديرة بأن تتبنى طفلا . وتعلمين أننا مطالبون بما يحتاج إليه الأطفال ، ولذلك لا تطمئنى أبدا لإيداعهم بين يدى زوجين يريدان حماية زواجهما بتبنى الطفل فحسب ، أو على حساب أسباب أخرى أنانية ، ولكنى أعتقد أنك وزوجك تفكران فى الطفل ذاته وليس فى نفسيكما ، وعلينا أن نحميكما كذلك ، فسنعطيكما طفلا سليما عقلا وجسما ، وأن بعض النقائص لا تظهر فى الرضيع ، أما مع الطفل الأكبر فأنتما تميزين ما ستواجهينه . هل رأيت البنية الصغيرة التى تجلس فى الخارج ؟ فقلت إنى آسفة يا آنسة شيرد فإنى لا أحتاج إلى الطفلة الكبيرة ، وشكرتها وأسرعت إلى الخروج ، وتذكرت قول شقيقتى لى بأنه لا فائدة من الحضور إلى هذا اللجأ ، ولا أمثاله من منظمات رعاية الطفولة ، وكان أجدى الطرق لتبنى رضيع هو شراؤه . وأمسكت بأكرة الباب ودمعته فانفتح بعنف ، وأحسست أنه خبط شخصا ، وقد وجدت فعلا جسما صغيرا فى ثوب أحمر وقد انكفأ على وجهه على الأرض الصلدة الملمعة ، فرفعت الطفلة ، وأوقفتها على قدميها ، واستفسرت عن سلامتها راجية ألا تكون قد أصيبت بأذى ، ولكنى لحظت أن فمها قد تورم واحتقن الدم حوله من السقطة على الأرض ، وبدا كلامها يثقل

ولكنها قالت وهي تحس تيابها في اهتمام وقلق : « هل أنظف ثوبي ؟ إن على أن يكون منظري حسنا إذا كان لا بد أن أجد أما و — و » ثم توقفت عن الكلام متلعثمة وأجهشت بالبكاء ، وانتابها رعب تحت عينا عندما لمست شفتيها التورمتين بأناملها الدقيقة ، ثم ولولت ... فمي ؟ ماذا حدث لفمي ؟ ياويلتاه لن يقبل على الآن أحدا

ولم أكن مفكرة حينئذ ، وإنما كنت شاعرة بخيبة أمل الطفلة وكنت جاثية بجوارها أواسيها ، ولم أتمالك أن قلت لها: هل تحبين أن تأتي معي لمنزلنا ؟ فانتشر على وجهها الدقيق شيء من التعجب كما لو كان شعاعا مضيئا خارجا من قرارة نفسها فأضاءه وقالت الطفلة : أتقصدين بهذا أنك ستكونين أمي ؟ فقلت يا إلهي ماذا أقول لها الآن وما قصدت إلا أن أسري عنها بزيارة للمزرعة فقط ؟ ولكني قبل أن أجيبها بشيء .. سمعت صوت الآنسة شبرد خلفي ، قالت : كلا يا « جيني » وجذبت الطفلة إليها ، وضمدت ما أصابها من رضوض في رفق ، نعم كلا ياعزيزتي فإن السيدة (هارت) لا تعني أنها ستقبلك ، ثم التفتت إلى الشرفة وأمرتها بأن تأخذ الطفلة إلى الطابق الأسفل ، وأن تضع كيسا من الثلج على شفتيها التورمتين ، وشهدت الإشعاع ينطفئ ويتلاشى من عيني الطفلة ، ومشت كالدمية التي لا حراك فيها مع الشرفة ، ومرتا من الأبواب المتحركة ، ثم اتجهت إلى الآنسة « شبرد » وقالت : إنها يتيمة لا يعرف أبواها ، لقد كان قصدك حسنا ، ولكن كان من القسوة أن تمني الطفلة ثم تخيبي أملها ، وشعرت السيدة « هارت » بما وقعت فيه من خطأ لما تحت عنه عينا « جيني » ، غير أنها خرجت من محاسبة نفسها شبه منتصرة موضحة أنها أنما تمنى طفلا لغرض حفظ الذكر ، وقد عاهدت نفسها وزوجها على أن يصبرا حتى يوفقا للطفل المناسب ، ولا ضرورة لملأة الطفلة . على أن هذا لا يمنع من جعلها تشعر بأن أناسا يريدها ، ويجب أن يعنى بأمرها

وأخبرتني الآنسة « شبرد » عن الطفلة بأنها قد عاشت في ملجأ اليتيمات مدة طويلة ، وتحتاج إلى تعود حياة المنزل ، ويجب أن تتعلم كيف تعيش في أسرة تشعر بأنها عضو فيها ، وفرد من صلبها ، حتى لا يصعب عليها ذلك إذا ما سلمناها لمن يقبلناها ، ثم ترددت ثانية ولكنها قالت : لدى زوجان يريدان تبني طفلة كبيرة بعد عودتهما من المصيف ، فإذا رغبت يا سيدتي أن تضيفي جيني في المزرعة حتى يعودا تكونين أسديت

معروفا كبيرا لها . على أن تذكريها دائما بأنها ملك فى أشهر الصيف فقط ، فلم تمانع السيدة « هارت » وصحبتها معها فى سيارة المزرعة ، ولكن كان يشغل بالها ما قد ينشأ لدى زوجها من ونم بالطفلة ، وكيف يمكنها أن تنميه عن ذلك ! وصممت بينها وبين نفسها على أن تتبنى رضيعا قبل أن تقدم على تبنى طفلة كبيرة ، وأنها ستسلك لذلك أى طريق

وكان اليوم عاصف الصباح بريح عاتيه ، عندما أرسلت السيارة من الطريق الخلفى الوحش نحو المزرعة ، وقد تذكرت ذلك الصباح منذ ثلاث سنوات مضت ، وكنت عائدة من لندن الطيب لأخبر زوجى عن تقريره الذى يشير إلى عقمى . نعم لم أنس شعور الألم المحس لحرمانى عاطفة الأمومة الحلية ، ولن أنسى أبدا ذراعيه عندما احتوياني ، فكأنما أدخلنى فى سويداء قلبه ، وغمرنى بعطفه ومواساته الصادقة ، بل لقد سرى عنى وهون الأمر بقوله : « سنتبنى رضيعا »

وصبرنا عامين كاملين لعلنا نحصل على الرضيع المناسب ، ولما لم نوفق أشار بأن نتبنى طفلا أكبر ، وحدث أن كنا فى المزبة نتفرج على عجل حديث الولادة ، وبفعل الغريزة وجدتنى أمر بيدى على وبره الناعم وأقول لزوجى ألا تحب كل شئ صغير ؟ فقال فى بطء : إنى أفضل الصغير ، ولكنى لا أكره من زال بعض صغرهم ، وأحسست من هذا أنه كان يستدرجنى لأمر ما ، وثقل على الاصغاء

وقلت معترضة : كلا ثم كلا إن وقت الرضاعة سيكون متاعا لكلينا إذا ما وقفت لرضيع قبل أن يبلغ بنا العمر مبلغا . لنتذكر لذة ذلك الطور وآثاره العظيمة «ياهانك» وماذا يضطرنا لأن نتعب أنفسنا فى تربية طفل كبير قد كون عادات خاصة ، ونشأ مع ناس فى بيئة تختلف عنا وعن وسطنا ؟ وأغضيت عما كان فى صوت «هانك» من نغمة توسل ، ولكنه قال : إن الرضيع لا يبقى رضيعا لمدة طويلة ، وإنما الزمن العاجل الذى يستغرقه اقتلاع ما اعتاده الطفل من عادات هو المهم ، وإن جعل الطفل يشعر بأنه محبوب وفى أمان ، ومعاونته على النمو الصحيح ، وتعبير نفسه الطبيعة ، ثم مساعدته على الاستقلال والتحرر منا ، فهذا ما كان ينبغى أن يكون واجب الوالدين الأول . هذا وإن الطفل فى مراحله الأولى يحتاج إلى الحب والعطف : أما الأطفال الأكبر فهم الذين يحسون كأنهم نبذوا من المجتمع ، وحرموا الاجتماع بقرنائهم ويشعرون بأنه لا سند لهم . قال

هذا « هانك » فى سخط وتحد ، ثم أردف قائلا :

لنعمل على أن يكون الطفل رشيدا إلى حد ما ، بحيث يعرف ما سيكون مصيره قبل أن يعيّر له أبا ربما يكون وغدا لا تفوز الأسرة منه بخير كثير ولا قليل ، ولكنى قلت لنفسى : لعله لم يكن جادا فى تبنى طفل أكبر ، ولكنه قد يكون عول على تبنى واحد الآن ، وقد يفرح عندما يعرف فى المستقبل أننى صممت على تبنى رضيع ذكر ، ليكون ابنا ينمو هنا فى المزرعة ، ويحب الأرض والماشية ، ويكون رفيقا صديقا لهانك ، ولنفخر به عندما تعرض مواشينا فى المعرض ، وليرثنا فيما بعد . وركبت سيارة المزرعة على الفور ، وأخذت معى بعض النقود لشراء الزبد والبيض ، كما أخذت الرسالة التى كتبتها لشقيقتى ليلا لتساعدنى على إيجاد رضيع ، وسوف لا يعرف هانك شيئا عن ذلك إلا بعد أن يتم كل شىء .

وحين كنت اتجه إلى الشارع الذى خلف مزرعتنا لأصل إلى الطريق العام المحاذى للمزرعة نظرت إلى حيني وكانت تجلس فى سكون تام إلى جانبى ، وكانت أصابعها الدقيقة تلمس ثوبها الجديد فى فترات متقاربة وبحالة عصبية ، فابتسمت لها وقلت : لقد وصلنا إلى منزلنا مجتازين الشارع الجميل العامر بالأشجار الباسقة ، فوقفت السيارة ، وظهر فى عينيها شىء من التعجب ثانية وقالت : إن هذا البيت يشبه المنزل الذى قرأت عنه فى بعض القصص ! وقابلنا هانك قرب العزبة وابتدرنا فقال : حسن يا مارجيرى لقد وفقت . فقلت له مقاطعة : هذه حيني حضرت لزيارتنا . وقالت الطفلة : سأبقى معكما الصيف كله ، ونظرت إلى قلنسوة هانك الرمادية ثم قالت :

إن شعرك يقف كما يقف شعر أحبائنا .

فقال : إن هذا التشابه يجعلنا من مشرب متشابه بلا ريب ، ثم قال مستفسرا : بربك أخبرينا ما الذى جعلك تظنين بأنا سنتركك تذهبين عندما ينتهى الصيف ؟ وكان فى صوته نوع من الشدة ، وابتعدت حيني عنه خطوتين فى قلق ، كما شعرت مارجيرى بغضب وعدم صبر فى نفسها جعلها تحنق على رئيسة الملجأ التى حملتها مسئولية حيني ولكنها على أية حال هدأت من روع الطفلة ، وطلبت من هانك أن يفرجها على سفار المحول ويلهيها حتى تطهو دجاجة للغداء ، فصحب الطفلة كما أمرت زوجته بعد أن حدجها بنظرة ذات معنى ، ورفع الطفلة إلى كتفيه فسرها ، وخرجا للعرعى . فلما تناول طعام الغداء ظهرت على وجه زوجته تلك النظرة .. نظرة الانهام ، فطلب إلى الطفلة أن تذهب

لتكتشف المزعة ، ثم قال لزوجته : لم يكن من العدل نحو هذه الطفلة أن تحضر هنا ، فبدأت مارجيرى توضح لماذا أحضرتها ، وأكدت أنها لا تستحسن فكرة تربية اللجأ ، فإنها إذ تعتاد على المعيشة معنا ، سيكون من العسير أن نقنعها لتعيش مع غرباء ، ولكنها أرادت أن تمرنها على الوجود فى أسرة بحالة طبيعية قبل أن تقبلى

فقال هانك وكأنما لم يستمع لما قلت : إن الطفلة تألفنا بسرعة ؛ وقد لفت نظرى هذا فى اللحظة التى رأيتها فيها لأول مرة ، كما حدث لى تماما عندما رأيتك لأول مرة ، بل أكثر من هذا أراها تشبهنا ، لهذا يحسن أن نخبر الآنسة شيرد بأننا نريد أن نتبناها . فارتج على مارجيرى ولم تدر ماذا تقول ، ولكنها صممت على عدم مفاتحة الآنسة شيرد فى الأمر . وعلى حين فجأة التمعت نظرات هانك فى عينى مارجيرى ، وقال : إذا كنت حقا تحبيننى فلا تعرقلى تبنينا هذه الطفلة . وتمتمت مارجيرى ... إذا كنت أحبه ! عجبا لقد جعله شدة ولهه بأن يكون له طفل غير متزن التفكير ، وأكدت فى نفسها قائلة : لا شك أنه سيصلح ، وسيسى جيبى عندما يكون لنا رضيع أجمل يحبه ويحبنى أكثر ، وأسرعت بكتابة رسالة أخرى لأختى ليلى لتعجل بمساعدتى على شراء رضيع كما فعلت. وجاوبتنى برجوع البريد ، فى بضعة سطور أوضحت فيها أنها ستحضر لرؤيتنا أقرب مما نقدر . وأنها ستساعدنا على الحصول على رضيع . ولم تذكر شيئا أكثر من هذا ، مما جعلنى أرتاب فى أمرها لما قرأته من بين السطور غير المنتظمة ، وزاد قلقى عليها أنها لم تذكر شيئا عن زوجها وكس — يا لله ! هل يمكن أن يكون وجود الرضيع معهما قد وسع الهوة بينهما بدلا من تضييقها ؟ حقا لقد أصابنى قنوط وحسرة . ومزقت الرسالة حتى لا يراها هانك . . يا إلهى لقد أصاب شقيقتى ما أصابنى ، وكنت مشفقة عليها منذ أحضرت جيبى إلى منزلنا ، فقد انصرف عنى زوجى كلية ، واكتفى بصحبتها ، وأهملنى إهمالا مروعا شعرت معه بالوحدة المريرة . وآلمنى افتقاد عطفه كأنما تحول قلبه وبعد عنى مسافات طويلة ، وشعرت بالوحدة أكثر وأكثر فى الأسابيع التى أتت بعد ذلك ، فدرست الموقف ، وأدركت أن هذا التحول كله يرجع إلى وجود الطفلة جيبى بيننا ، فقد التصقت به وتعلقت بصحبته بحيث أخرجت أنا جملة من الحساب ، بل لقد أغرمت به وتبعته فى كل خطواته طوال اليوم ، ولكنها معى كانت لا تزال جيبة ،

على أنها أحبت الثياب الجديدة التي صنعتها لها ، والتي لا ترتديها إلا عندما تذهب إلى الكنيسة ، وتكتفي بالنظر إليها كل ليلة وتطمئن عليها قبل أن تلزم فراشها ، وتنظر إلي في الوقت نفسه ، كأنما تأمل في تضرع أن أزيد من حبي لها ، حتى تبقى معي .

وحدث ذات ليلة وأنا أودعها فراشها أن تعلقت برقبتي قائلة : إني أعجب كيف كان منظر أمي ! قالت هذا في نبرات متهدجة منخفضة ، فصعد الدم من قلبي وكاد يخنقني من شدة التأثر ، وأمسكت بيدي ووضعتها على خدها وقالت : لا شك في أنها كانت تشبهك ، ففاض الدمع من عيني وأنا أقبلها وأحييها تحية المساء لتنام ، وأسرعت إلى الخروج من الحجرة ، ووجدت زوجي في الردهة ، وأعتقد أنه سمع كل شيء ، ولكنه لم يذكر لي شيئا عن ذلك حتى نزلنا إلى الطابق الأرضي حيث قال : إنه ليؤلمني كثيرا الطريقة التي تحاول بها جيني أن ترضينا . إنها تريد أن تكون منا ، وحقا سيكون من العسير على فراقها . وساد صمت عميق بيننا ونحن في طريقنا لنجلس في الشرفة . ولقد كانت مفاجأة غريبة أن نرى نور عربة تشق الطريق بين أشجار السرو الباسقة ، وأدهشني أن رأيت شقيقتي ليلي تنزل من العربة حاملة الرضيع بين ذراعيها

عجبا لماذا لم تخبرنا بمجيئها حتى كنا نستقبلها على المحطة ؟ ولحظت على وجه هانك السؤال نفسه ، وهو يحمل حقائبها إلى الطابق العلوي .

إنه كان يحب ليلي ويحترمها على الدوام ، ولكن نظرته إليها في هذا الموقف كانت أشد تحفظا .

وسلمت على قائلة : أرجو المعذرة من إزعاجك بهذا الشكل على غير موعد . وفي الحق أني لم أفكر في شيء سوى سرعة مجيئي إليك .

وظهر عليها شيء من الضعف والتحول ، وبعض العجز والهزيمة ، كما ظهر عليها الوهن من حمل الرضيع المستغرق في النوم

فأسرعت إليها وحملته عنها ، وقلت : لا ينبغي أن تعتذري فأنت حرة تحضرين إلى متى شئت في أي وقت . وشعرت بأن الحمى تنتاب الرضيع وتشل حركته ، فضممته بشغف ، ففتح عينيه ، ونظر إلى تائها ، ثم أغمضهما في ثقل ، ولكنه بقي معلقا بين ذراعي . كانت تنظر إلى « ليلي » في هذه الأثناء ، وعلى وجهها مسحة ألم ظاهر ، وسألتني في صوت حنون : أتحبينه ؟ قلت : نعم ، إني أحبه لدرجة أني أود لو أنه ابنه . قلت هذا ونظرت إليها في صمت ، فقالت في صوت عميق متهدج : هذا هو ما دعاني للحضور إليك لأعطيك ابني ، فأني وركس ستفترق وبعض شركة الزواج بيننا ، وكان

يحسن بنا ألا تنهى ابنا ، فلم نكن نصلح أن نكون أبوين ، وقد كره زوجى أن يربطه أى قيد ، حتى لقد ضايقه الوقت الذى كنت أصرفه مع الولد مهما كان قصيرا . وعلى أية حال لقد قضى الأمر ، وأنا أفكر فى الطفل وحده الآن ، فقد حرمته من حق الوجود فى الأسرة التى يتحد فيها الوالدان على حب الأبناء بإيثار ، فقد أحب أحدهما الآخر أول الأمر هذا الحب فقالت مارجورى : ولكنك تحبين الولد فلماذا لا تحتفظين به ؟ ولا سيما أن وكس سينفق عليكما ، أليس كذلك ؟ فقالت ليلى بتأثر : لا أعتقد أنى أستطيع الاعتماد عليه ، لشدة ولعه بلعب القمار فضلا عن أن هناك امرأة تضايقنى كلما تخلصت منها ، وإلى جانب هذا .. فإن كل طفل يحتاج إلى أب فلا ترتاعى ، واطمئنى من جهتى فلن أطالبك به بعد الآن . ويمكنك أن تتبنيه رسميا وهو لحسن الحظ صغير ، ولن يذكر أنى تبنيته تلك الفترة القصيرة فشعرت حين صرحت بهذا أن الحظ قد هبط علينا من السماء ، ولم أصدق أن هذا الرضيع الذى بين يدى حقيقة موجود معى ، ولا أنه سيكون ابنا حقا ! ونظرت إليه وسالت دموعى شكرا لله ثم كانت عينا جيني على حين فجأة تنظران إلى فى حيرة ويأس ، وتذكرت قولها : لعمرى كيف كان شكل أبى ! ولا إخالها إلا تشبهك .

لقد شعرت بوهن شديد انتابنى فى صباح اليوم التالى ونحن نتناول طعام الإفطار عندما شاهدت جيني تلتهم كمية كبيرة من البيض المقلى والبسكوت الساخن ، ونظرت إلى فى جد قائلة : إنك طاهية ماهرة ، ولم أستطع مواجهة نظرات زوجى ، وقصرت مشاهداتى على قفزات الطفلة وحركاتها بعد الإفطار وهى بجانب هانك بقرب حظيرة الماشية وهو مشغول بسوس العجول استعدادا ليوم المعرض ، وكان صوتها الذى ينم عن طفولتها يملأ صداه هواء الصباح الصافى قائلة : ستفوز (بتشا) العجلة اللطيفة بالجائزة ، فشعرت بألم ممض فى أعماق عندما عدت إلى داخل المنزل وكانت شقيقتى ليلى والرضيع وأنا لا نزال بالطابق الأعلى ، واشتد انزعاجى عندما سمعت عربة الآنسة شبرد رئيسة الملجأ تقف أمام الباب . وعندما ذهبت لاستقبالها وجدت زوجين فى منتصف العمر قد حضرا معها ، امرأة نحيفه ضئيلة الجسم شعرها ذهبى فاتح ، ولها أنف دقيق ، ورجل نحيل متحفظ متردد ، وقف ساكنا ينتظر أن تبدأ زوجته الحركة الأولى . وأدت الآنسة شبرد مهمة التعريف : هذه السيدة «هارت» وهذان السيد باركر وزوجته ، اللذان سبق أن حدثتك عنهما . لقد حضرا لرؤية جيني

عاشفقت على الطفلة المسكينة ، ولكنى شعرت أنه ليس من واجبى أن أختار أبويها فإن الآنسة شيرد أعرف منى لهذه الأمور وأشد حرصا ، على أنه انتابنى رجفة سرت فى جسمى على الرغم من وجود حرارة الشمس التى كنا نمشى تحت أشعتها نحو الحظيرة ، حيث كانت تقف جينى إلى جانب بابها المفتوح ، تلعب وتمرح بحرية وانطلاق فى المزرعة ، وتداعب العجول برش الماء عليها بالفرشة من أناء كبير ، ولما وصلنا إلى الحظيرة قالت السيدة باركر : ما كنت أعلم أن لك ابنة ! وما رأيت قبل الآن طفلة شابهت أباها مثل ابنتك هذه . فضحكت فى بساطة ولم أعلق بشىء ، وإنما عجبت لتطفلها ؛ ووثبت جينى فجأة كما لو باغتتها إحدى الزواحف الضارة ، وأخذت تنظر إلى آل باركر بانفعال وروع طارئ على وجهها ، لعل السكينة قدرت ما هنالك ! وأوضحت الآنسة شيرد أن آل باركر حضرا ليريا جينى ونظرت السيدة باركر إلى زوجها نظرة ريب قائلة :

لست أدرى ، وحسبى أن ينشأ مع أى طفلة كبيرة عادات رديئة تظهر فيما بعد ، وربما كانت هذه الطفلة من ذلك الطراز ، ولكنها ضغطت على كلماتها بعد أن فطنت إلى وجودى بجوارها ، وعادت فأوضحت استغناءها عن فكرة التبنى ، فنظرت إلى جسم الطفلة القوى الدقيق ، وتذكرت قول زوجى مرة ثانية « أن فراق « جينى » سيكون كما لو ضحيت بلحمى ودمى . » وتأثرت أشد ما يكون التأثر من موقف السيدة باركر الذى أصابنى فى الصميم كالسهم المسموم ، وقلت : إن جينى ليست من بناتنا ، ولكنا نعاملها كابنتنا ، وأنى أعرف الآن كيف صدق قول « هانك » بأن مسئولية الأمومة ليس معناها مجرد حمل الرضيع بين الزراعين ، والشعور بعجزه واعتماده على غيره . إن الأمومة الحقة معناها معاونة الطفل على مساعدة نفسه ، وتهيئة الجو الملائم للصغير لينمو صحيحا عقلا وجسما واجتماعيا بما يتناسب وطبيعته ، وليكن بعد ذلك حرا .

أن ابن « ليلى » فى حاجة إلينا أيضا وسيكونان ابنينا . وسألت الآنسة شيرد إذا كانت تأذن للطفلة أن تختار أبويها ؟! وراعتنى الطريقة التى حدجتنى بها ، ولكنى مع ذلك رأيت فى عينيها شيئا من الاطمئنان . وزاد عجبى من أمرها ، ولكنى اوتيت كثيرا فى أنها أحضرت آل باركر بقصد تسلم الطفلة . وأغلب الظن أنها أرادت أن توقفنى شخصيا على حقيقة شعورى بالنسبة للطفلة ، فهى سيدة مجربة . ونسيت وجود آل باركر ، وكذلك وجود الآنسة

لوسى

للدكتور فى الإنجليزية وسكرتير تحريرها
تقدمها للآنسة محمد الوهاب محمد

كانت ، إذا غبت عن مجلسها ، لا تذكرنى إلا بلاذع القول ، وقارص الكلم . وما كنت أستغرب ذلك منها . فإن لوسى كانت تبغضنى وتضيق بى . وبرغم ذلك كله كانت دائمة الاحتفال بى ، شديدة الانشغال بأمرى . أما مصدر ذلك الاحتفال ، وسبب ذلك الانشغال فقد كان سدا مغلقا دونى . ولكن مزيدا من رقة ، وفيضا من حياء كانا يغمانها أن تصرح أمامى برأيها فى . وحتى ذلك ما كان يحول بينها وبين ما تهدف إليه من معنى وما تقصد إليه من رأى ، فهى تصل إلى ما تريد بالنظرة العابسة أو الإيماءة الرشيقة أو

تبرد فى اللحظة التى جثوت فيها على ركبتى بجوار جيبى لأخفف من بأسها ، وأؤمن خوفها ، وأطمئنها بأنها ابنتنا ، نعم ابنتنا التى لن نسمح لأحد أن يأخذها منا ، إلا إذا أبدت هى رغبة أخرى ؛ وقلت لها ولكنك تريدينا أليس كذلك ؟! فعلقت الطفلة فى وجهى وابتهج وجهها كشروق الشمس فى اليوم الصحو ، وارتمت بين

التعبدة الحرى

عشرت لوسى خمسة وعشرين عاما فوجدتها طرازا من النساء فريدا ، ولونا من الحسان طريفا ؛ فهى لا تعرف للعشرة الطويلة قيمة ، ولا تحفظ للود حرمة ، وقد كنت فى نظرها رجلا غليظ القلب ، بليد الإحساس ، سقيم الوجدان ، ساخرا بالدنيا ، هازلا بالناس ، ولم يكن ليعجبنى ذلك الرأى منها بقدر ما يعجبنى تعلقها بى ، وانجذابها نحوى ، فهى لا تفكر مطلقا أن تخلى بينى وبين نفسى ، ولكنها كانت دائما تلاحقنى بدعواتها للغداء أو للعشاء ، أو للشاى ، وفى بعض الأحايين كانت تهيئ

ذراعى . وناداتنى : أمى ، أمى ، فى صوت خافت فرح ، وهكذا ناداتنى لأول مرة ، بينما كان هانك ينظر إلينا كأننا نقيم فى سويداء قلبه . ولم استطع مغالبة دمعى الذى انهمر من عينى ؛ ولكنها كانت دموع الفرح ، كانت دموع السلام ، كانت دموع الاستجابة

زينب الحكيم

لى فى أجازة آخر الأسبوع برناعيا لطيفا فى بيتها الريفى الجميل

وأخيرا اكتشفت سر ذلك التعلق والاعجاب ، ولم يكن غير الشك والظن : الشك القاتل الذى يقلق مضجعها فى أننى لم أكن أثق بها ، والظنة المبرحة التى تثير أعصابها أننى لم أكن أومن بها . وهذا الشك وهذه الظنة هما الشىء الذى كان يمضنى اليها وفى الوقت نفسه يربطها بى . وكيف لها أن تريحنى أو تستريح منى وأنا الأوحد بين الناس الذى لم يكن يرى فيها غير أضحوكة وملهاة ، وقد يصح أنها كانت تحس إحساسا خفيا أننى كنت أبصر وجهها الحقيقى وراء ذلك القناع التفكرى الذى كانت تبدو فيه ، فما كان يقر لها قرار ، ولا يهدأ لها بال حتى تراني قد أخذت القناع على أنه الوجه ولكن هيهات لما تريد !

ما كنت لأجزم بأن لوسى كانت مدعية مغتربة ولكنى كنت دائما أسائل نفسى : أأفلحت هذه المرأة فى خداع نفسها كما خدعت الناس من قبل ، أم هى جذوة من دعابة وروح من فكاهة استقرت فى أعماقها تحبب إليها ما تفعل ، وتزين لها ما تقول ؟! وإذا صح ظنى هذا الأخير فربما كانت لوسى تنجذب إلى لوسى صديقا لدودا لها يقاسمها سرا تخفيه عن الناس أجمعين !

وترجع صاحبتى بلوسى إلى ما قبل زواجها يوم كانت فتاة صغيرة هزيلة مرهفة رقيقة نحيلة وإنى لأذكر عينيها تينك الواسعتين الجميلتين وقد غشيتهما سحابة حزن تزيدها جمالا على جمال ، وأذكر أن والديها كانا يفتنان فى تدليلها ورعايتها ، ويتنافسان على حبها ومرضاتها . وأذكر أن مرضا أصابها أغلب ظنى أنه الحمى القرمزية ، أورثها قلبا واهيا واهنا مضعضعا ، وكان عليها أن ترفق به وترعاه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا

ولما جاءها (توم ميتلاند) خاطبا روع والداها واضطربا ، فاعتقدا أن قلبها كان أضعف من أن يدق بيتا أو يتحمل عبأ ، وأن جسمها كان أوهن من أن يقوم على زوج أو يسهر على ولد ؛ ولكنهما لم يكونا على سعة من العيش مثلما كان توم . ثم أن هذا قد أكد لها أنه مسخر نفسه وما تملك لإسعاد لوسى وإمتاعها ، فلم يجدا بدا من أن يجعلوها أمانة فى عنقه ، ووديعة بين يديه

كان توم ميتلاند قويا جميلا ، وكان ضخما طوالا ، وقد تولع فى حب لوسى وتدلله ، واعتقد كما اعتقد غيره من الناس أن عمر لوسى معه ، يقلبها ذاك الضعيف الواهن ، فيكون كعمر الزهر أو أقصر ، ولذا أمضى العزم على أن يجعل من أيامها القليلة معه رغدا وريا وسعدا ، هجر توم أحب أنواع

الرياضة عنده ، ولم ترغب إليه لوسى فى ذلك إذ أنه كان يسرها أن تراه يخرج للصيد أو للجولف . ولكن نوبة القلب كانت تغشاها كلما هم أن يتركها أو يبعد عنها ، فقتله ذلك فى رياضته وصده عنها

وقد يختلفان فى أمر من أمور الدنيا ، أو فى مسألة من مسائل البيت فتكون لوسى هى المذعنة الخاضعة ، فهى أطوع زوجة يحلم بها رجل ولكنها ما تكاد تضاع لما يرى زوجها حتى يصرعها « القلب » فتلازم فراشها أسبوعا أو نحو أسبوع ؛ ثم بعد ذلك يتجادلان فيما اختلفا فيه من قبل جدلا رفيقا ، فما يقدر توم أن يصرفها عما انصاعت إليه إلا بعد لأى شديد

شاركتها وتوم ذات مرة فى رحلة خلوية قصيرة ! كانت إليها مشوقة ، وقد نعمت بها وابتهجت ، ومشت فيها أميالا ثمانية ما ارتفع لها صوت بشكاة ، وفى ذلك قالت لتوم :

« إنها أسلب عودا مما تحسب ويحسب الناس »

ولكن توم هز رأسه هزة من لا يوافق وقال لى :

لقد عرضت على أربع أطباء القلب فى العالم ؛ واتفقوا جميعا على أن حياتها معلقة بخيط واه ولكن لها روحا لا تقهر

وقد سمعت لوسى مقالتى تلك منه فقالت لى :

« غدا سأدفع الثمن غاليا ، وسوف أذوق طعم الموت علقما »

ولكنى رددت عليها :

بقينى أنك دائما قوية جدا لتمضى بما تريدين

وتلك حقيقة ، فقد كنت ألاحظ أنها تنشى الحفلة الساهرة ، تروق لها فترقص فيها وتمرح حتى الصباح . وتنشى الحفلة الساهرة تظلم أمامها وتثقل عليها ، فتشعر بأسقام الدنيا تبرح بها ؛ فيضطر توم أن يعود بها إلى البيت مبكرا . أما ردى عليها فأغلب ظنى أنه لم يقع فى نفسها موقعا حسنا ، فقد رأيت فى وجهها ابتساما متكلفا ورضا مصطنعا . ولكن عينيها الزرقاوين الجياشتين كانتا تقدحان شررا ، ثم إنها لم تستطع أن تحكم نفسها أو تزجر لسانها فانطلقت تقول لى :

« لكأنى بك تنتظر حتى أسقط مغشيا على ، فأموت لتسر وترضى »

ولكن لوسى لم تسقط ، ولم يغش عليها ولم تمت ، ولم أمرض أو رض ، فقد عاشت حتى وارت توم فى التراب

لاقى المسكين حتفه فى رحلة نهرية اشتد فيها الصقيع وقرس الماء ، واستأثرت لوسى بالأحفة والأغطية من دونه . فراح توم

ضحية لنزلة ذلك البرد

مات توم وقد ترك لها ثروة طويلة عريضة وطفلة صغيرة جميلة . ولا شك أنها رزئت بموته، ولكنها استطاعت أن تغالب أحزانها في صبر جميل . وكان أهلها وأصدقاؤها جميعا يرون أن لحاقها بزوجها أمر وقت لا أكثر . فكانوا يرثون لأريس طفلتها تلك الصغيرة الجميلة . ولكنهم لا يلتفتون في ذلك الوقت لأريس بقدر ما يلتفتون لأمها لوسي ، فهم جميعا مشغولون بها ، فما كان لها أن تحرك أصبعا أو تنشط قليلا ، وكيف لهم أن يخلوا بينها وبين الحركة والنشاط وقد رأوها بأعينهم تسقط صريعة نوبة القلب ، ونقف على عتبة الموت كلما أخفت نفسها بعمل فيه نصب

* * *

لقد أصبحت لوسي في حيرة من أمرها : فلا ذراع قوية تتكئ عليها ، ولا صدر رحيب تسكن إليه ، وكيف يتأتى لها تربية تلك الصغيرة أريس وهي على ما هي عليه من سقم . هكذا كانت تقول لمن حولها من الأهل والأصدقاء ، فيسألها هؤلاء وهؤلاء : لم لا تتزوجين ثانية ؟ فتجيبهم أن ذلك أمر لا يمكن أن تفكر فيه أو تفعله وهي في مرض قلبها . وتزيد على ذلك بأن روح توم العزيز لا شك مباركة أمراً كذلك لو تم ، وربما كان زواجها خيرا ورحمة بأريس لو أقدمت عليه . ولكن من يجرؤ أن يحمل بنفسه مسئولية الزواج من امرأة ارمضت جوانحها الآلام ؟

والغريب من الأمر أن أكثر من فتى تقدم ليحمل تلك المسئولية الضخمة — مسئولية الزواج من لوسي !

وبعد سنة من وفاة توم كانت صاحبتنا تسرع الخطا نحو مذبح الكنيسة لتعقد قرانها على جورج هوبهاوس

وكان جورج فتى رائع القسوام ، سمح المحيا . ولم أر رجلا يقر بالفضل ويعترف بالجميل كما كان جورج يفعل وهو يقترن بتلك الأرملة الصغيرة الهزيلة . كانت تقول له :

« سوف لا أعيش طويلا يا جورج ، وسوف لا أكلفك من أمرك رهقا »

وكان جورج جنديا طموحا . وكانت لوسي في غيابها بصحبتها تقضي الشتاء في مونت كارلو ، وتقضي الصيف في دوفيل . وقد تردد جورج قليلا أو كثيرا وهو يهم بترك عمله . وكانت لوسي في بادئ الأمر لا تسمع إليه وهو يعرض لحديث الاستقالة ولكنها حسمت آخر الأمر ، كما كانت تخضع دائما ، واستقال جورج من الجيش ثم أصبح ولا شغل له إلا راحة لوسي

وإسعادها !

وفى السنتين أو الثلاث التى أعقبت زواجها من جورج رأيت لوسى ، بالرغم من ضعف قلبها ، تتزين فى تبرج ، وتنشئ الحفلات فى مرح ، وتقامر فى جنون ، وترقص فى طرب ، وتداعب الشباب فى دل وتيه

ولم يكن جورج هوبهاوس فى قوة زوج لوسى الأول : فكان يضطر من ساعة لأخرى أن يمنن نفسه بشراب قوى يعينه على عمله اليومى المضنى ، بوسفه زوج لوسى .. الثانى ! وكان محتملا أن تتحكم عادة الشرب تلك فى جورج فتغضب لوسى وتقلق . ولكن لحسن الحظ نبت نار الحرب ، فالتحق جورج بفرقته من جديد ولم تمض شهور ثلاثة حتى جاءها نعيه

* * *

فدحتها الصدمة . ولكنها استجمعت قواها وقررت ألا تستسلم للأحزان فتعصف بها الأحزان ، وألا تجتر الآلام فتصرعها ؛ ثم رأت أن تجعل من كرمتها الصغيرة فى مونت كارلو مستشفى يستقبل الضباط الناقهين ، ويشغلها عن دنياها تلك الخاوية الباكية ... وكان جميع أصدقائها يؤكدون لها أنها لا تقدر على كل تلك الجهود والاعباء ولكنها كانت ترد عليهم :

إنها ستقتلنى . وأنا أعرف ذلك . ولكن ذلك لا يمكن أن يثنينى عن القيام بدورى مهما كان صغيرا

ولكن الجهود لم تقتلها ، والأعباء لم تقتلها . بل بقيت دائما كما كانت قبل أن تقرعها الخطوب . وعاشت عمرها كاملا وكان بيتها فى مونت كارلو من أشهر بيوت الثقافة فى فرنسا . وأوسعها صيتا ؛ وأبعدها ذكرا ، جمعتنى بها الصدفة مرة فى باريس ، وكانت تتناول الغداء فى مطعم بصحبة شاب فرنسى جميل ، وقد علمت منها أنها تزور باريس فى شأن من شئون مستشفاها ، وذكرت لى فيما ذكرت أنها سعيدة جدا مع ضباطها الناقهين ؛ فهم جميعا يعرفون قصتها فيشفقون على قلبها الضعيف ومزاجها الرقيق ؛ فما يدعونها ترهق نفسها بعمل مضنى أو أمر ثقيل ؛ وكلهم يرعونها ويرثون لحالها ؛ كما لو كانوا جميعا أزواجها ! ذكرت لى ذلك ثم أعقبته بقهقهة حرى أرسلتها فى الهواء ! ثم جعلت تقول :

يا أتعسك ياجورج ! من كان يظن أننى بقلبى هذا الكسير الضعيف المثخن بالجراح ، يمتد بها الزمن حتى أواريك التراب !! فقلت لها :

وما أنس لا تنسى أيضا ! . ولا أعرف لم لم تسر لذكر توم . ولكنها قابلتنى بابتسامة

صفراء باهتة. ثم رأيت عينيها الزرقاوين الجميلتين تسحان بدمع سخين . ثم أخذت تقول لى :

إنك تبدو كمن يحسدنى على الأيام القليلة التى أقدر أن أعيشها ! فرددت عليها قائلا :

ولكنى أظن أن قلبك تحسن . أليس كذلك ؟ فأجابتنى :

لن أسير إلى خير من ذلك مطلقا . لقد كنت فى زيارة متخصص كبير هذا الصباح ، وقال لى يجب أن أكون مستعدة لأسوأ الظروف والفاجآت ؛ فقلت لها :

أجل ! لقد كنت مستعدة لذلك طيلة العشرين سنة الأخيرة ..

***

ولما وضعت الحرب أوزارها ، استقرت لوسى فى لندن . وكانت يومئذ فى أواخر شبابها وأوائل كهولتها ، شاحبة الخدين ، واسعة العينين ، نحيلة الجسم ، هزيلة الأعطاف ولكن سنها لم تبد يوما واحدا أكثر من الخامسة والعشرين

وكانت أيريس ابنتها فى ذلك الحين طالبة بالمدرسة . قد اكتمل عودها وامتلأ جسمها وقدجاءت لتعايش أمها . وكانت لوسى تقول :

إنها ستزعانى وتقوم على أمرى . وقد يثقلها أن تلازم سيدة عليلة سقيمة مثلى . ولكن أيامى معها لن تطول ؛ فسوف لا تتبرم بذلك أو تشقى .

كانت أيريس فتاة دمثة الخلق ، حلوة الطبع ، رقيقة الشعور ، وقد شبت وهى تسمع أن صحة أمها فى خطر دائم . وأن لا شئ مطلقا يجب أن يعكر صفوها أو يقلق خاطرها وكانت لوسى تقول إنها سوف لا تسمح لفتاتها الصغيرة أن تضحى بنضرة شبابها وزهرة أيامها فى سبيل امرأة عجوز مثلها . ولكن قولها ذاك لم يجد عند فتاتها الطيبة أذنا صاغية أو قلبا واعيا ، فالأمر عند إيريس لم يكن أمر دين تفى به لأمها ، ولم يكن أمر تضحية تبذلها لصحتها .. وإنما كان سعادة وفرحة ورضى تحسها جميعا وهى تسعى لتسعد أما عزيزة بائسة كأمها

وبين التنهدات والزفرات كانت لوسى تسمح بأن تضحى كثيرا ، وتضحى دائما ..

كانت لوسى تقول : أن أيريس تسر كثيرا إذ ترى نفسها قد شبت عن الطوق وتضجت وصارت شيئا كبيرا يعمل فينفع . وكنت أسألها :

ألا ترين أنه يحسن أن تعطى الصغيرة فرصة أكبر لتذهب هنا وهناك — تروح عن نفسها ، وتلعب مع لداتها ، وتنعم بوقتها وشبابها ؟ فترد على لوسى :

ذلك ما أقوله لها دائما . ولكنى قد عجزت أن أجعلها تسعد بأيامها ، وتنال من الحياة أطايبها وثمارها .. فأيريس لا تسمع لى

كلاما . والله وحده يعلم ما إذا كنت أرغب أن أرى أحدا يشقى لأجلى أو يضحى بحياته لحبانى . ولكنى عندما عاتبت أيريس على مسلكها ذاك قالت لى :

يا لأمى المسكينة ! إنها لترغب إلى أن أزور صديقاتى وممارق ، وأن أغشى السهرات واشترك فى الحفلات ؛ ولكنى ما أكاد أهم بمغادرة البيت حتى يصرعها قلبها — ذاك العليل . ولهذا فأنا أفضل دائما أن أبقى بجوارها أقوم عليها وأرعى حالتها

***

وكانت سهام كيوبيد قد عرفت طريقها إلى قلب الصغيرة أيريس . وكان فارسها شابا رقيقا من أصدقائى . ولما طلب إليها أن تتزوجه وافقت على ذلك وارتاحت إليه . وقد اهتزت لبا وطربت . فأيريس كانت أثيرة عندى . وكنت سعيدا جدا إذا أن زواجها كان سيهيئ لها حياة أسعد وأجل من حياتها مع أمها . ولكن صباحا يصبح وإذا بخطيبها ذاك يأتينى محزونا كئيبا ليخبرنى بأن زواجه قد تأخر إلى أجل غير مسمى . إذا أن أيريس قد شعرت بأنها لن تستطيع أن تتخلى عن أمها . وبالطبع أن الأمر لم يكن أمرى . ولكن وجدت نفسى أفرغ باب دار لوسى . وكانت يومئذ قد تقدمت بها الأيام وبدت عليها آثار السنين ، وأحاطت نفسها بجماعة من الأدباء والكتاب والفنانين يغشون ندوتها كل يوم فى الأصيل ، يتبادلون أقداح الشاى ويتجاذبون أطراف الحديث أشتاتا . وألوانا

قلت لها بعد أن استقر بى المقام قريبا منها :

سمعت أن زواج أيريس لن يتم فقالت لى :

أنا لا أعرف من أمر ذلك شيئا . ولكن أيريس تبدو كمن لا يريده قريبا . وقد توسلت إليها ألا تفكر فى أمرى . ولكنها تصر وتحرص على ألا تتركنى وحيدة فى محنتى هذه ! فسألتها :

ألا ترين فى ذلك سحقا لقلبها ، وعصفا بحبها ؟ فأجابت :

صحيح ما تقول . ولكن الأمر لن يطول فما هى غير شهور وأكون قد فارقت هذه الدنيا . وشد ما يحزننى أن أرى أحدا يضحى بشئ من أجلى . فقلت لها وقد عيل صبرى :

عزيزتى لوسى ! لقد وارت الثرى زوجين ولا أرى ما يمنعك أن تلحقيهما باثنين آخرين !

فحدقتنى بنظرة ملؤها الحيث والسكر وجعلت تقول : أترى فى كلامك هذا مزحة أو دعابة ؟

فقلت لها : ألا يدهشك يا لوسى أنك ترغبين فى الأمر فتندفعين إليه كالإعصار لا تلوين على شئ حتى تؤديه كأحسن ما يكون الأداء ! ألا يدهشك أن قلبك هذا الذى ترمينه بالوهن والضعف لا يصدك بلا عما

تكرهين ؟! فقالت لى :

آه . أنا أعرف سوء ظنك بى . إنك لانكاد تفطن إلى أى مكروه يلمّ بى ولا إلى أى خطر يحيق بحياتى !

وهنا رميتها بنظرة قاسية ، وقلت لها :

أبدا . أبدا . أعتقد أنك تمثلين ولا تصدقين ، وتقومين بخدعة هائلة طيلة هذه الخمس والعشرين سنة الأخيرة . ويقينى أنك أشد من عرفت من الناس أنانية وجشعا . لقد عصفت بشباب ذينك الرجلين اللذين رمت بهما الأقدار فى طريقك الشئوم ، وها أنت ذى اليوم تقيمين العقبات والسدود أمام سعادة ابنتك وهنائها . ولم أكن أستغرب لو سقطت لوسى بعد كل ما فى ذلك من إعياء قلبها وهبوطه . وكنت أنتظر أن يتجهم وجهها ، وتتلى مراجل سورتها ، ولكن شيئا من ذلك لم يحصل . بل إن ابتسامة عذبة رقيقة قد ارتسمت على ثغرها . ثم سمعتها تقول :

سأتقدم عن قريب على تقولك هذا على .

فقلت لها :

والآن هل قرارك ألا تزوج أريس من ذلك الفتى ! فقالت لى :

لقد تضرعت إليها ما استطعت التضرع أن تتزوجه ؛ وأنا أعرف أن هذه هى القاضية على . ولكنى لا أبالى بنفسى . إن أحدا لم يعد يهتم بى . إن أحدا لا يرثى لحالى . أنا الآن عبء على الناس فادح . فقضيت أسألها :

« وهل مات لأبيك إن زواجها ذاك قاض عليك ؟ » فأجابتنى :

« أجل لقد اضطرتنى أن أقول لها ذلك . » فقلت لها :

« إنك تبدين كما لو أن أحدا استطاع يوما أن يحملك على شئ تكرهينه . » فردت على مغيظة :

« لأريس أن تتزوج فتاها اليوم أو غدا وإن كان ذلك قاتلى ، فلأذهبن له ضحية وقربانا . » فقلت لها :

« أجل ، فيما تخاطر بذلك . » فقالت لى معاتبة :

« أما حياك تحوى عاطفة أو رأفة ؟ »

فقلت لها :

وهل يستطيع قلب أن يشفق على شخص يبعث فيه من التسلية والضحك والدعابة مثلما تبعثين ؟ » وهنا أردد وجهها وامتقع خداها ، وإذ تكلف ثغرها الابتسام فلا شك أن قلبها كان يتميز غيظا . ثم أخذت تقول لى :

ستزف أريس إلى عريسها فى بحر شهر ، وإذا ما أصابنى سوء أو مسنى ضر فأرجو الله أن يغفر لك ولأريس كيدكما وبغيكما . وكانت صادقة الوعد فى ذلك :

الأمر

قصة من قصص الأطفال في فيلكس سالتين

رغم الأستاذ تعاكا يل

كانت والدة جان واقفة أمام صوان الملابس وقد تملكها منذ لحظة سرور عظيم وهي تنعم النظر في تلك الكنوز المكدسة بعناية . كانت تشعر بالراحة والسعادة فابتدأت تغني

وأمسكت بأحد أقمصة جان ، وعندما نشرته أمامها استولى عليها التفكير وسكتت عن الغناء . كانت تقول لنفسها : هذه الدنتلا الفاخرة ، هذا القميص الصغير المزركش كان بالنسبة إليها منذ سنوات قليلة ثروة طائلة تجعلها في غنى عن الكد والعمل وفي حماها وفلذات أكبادها من ألم الجوع

فتعيش وقتا طويلا في هدوء واطمئنان دون أن تقاسي تلك المشاغل القاسية التي كانت حتى اليوم تهز نفسها هزا عنيفا ، وكأنها خرجت من خطر محيت

نعم . لقد أخرجتها جان ، تلك الفتاة الصغيرة ، بغنائها الساحر من هذه التعاسة ، من ذلك الظلام السحيق . فقد اقتحمت جان طريق المجد بسرعة فائقة حتى بلغت السماء جاذبة وراءها أسرتها

وتمتمت الأم قائلة : ابنتي !

ثم صمتت وقد انتابها فرح عظيم أمام هذه السعادة وكأنها أمام معجزة ، وكل

فحدد للزفاف ميقات معلوم ، وصنع جهاز للعرس رائع جميل ، وأرسلت الدعوات للأهل والأصدقاء . وبدت آيات البشر وأمارات الغبطة على محيا العروسين السعيدين ، فكانا يتنقلان في خفة الطائر المرح من هنا لهناك ، يستعدان لليوم الموعود واليوم المشهود

وفي يوم الزفاف ، وفي الساعة العاشرة تماما سقطت لوسي صريعة قلبها . وفي صمت كصمت القبور ، وسكون كسكون الليل؟ أسلمت تلك المرأة الجهنمية روحها لبارئها ؛ وما نسيت أن تستغفر الله لتلك التي غدرت بها وتزوجت !

عبد الوهاب محمد

هذه السنين الأخيرة لم تكن فى الواقع إلا سلسلة لا تنقطع من المعجزات ؛ لقد تفتح أمامهم عالم منير ، فهجرت الحجرة الضيقة المظلمة ، والشارع الصغير القذر الذى كانت تقطن فيه حتى ذلك الوقت حيث أخرجت إلى الدنيا أولادها وحيث رأتهم يشبون ويخطون بخطواتهم الصغيرة . كذلك استطاعت أن تهجر تلك المدينة الصغيرة التعسة ، حيث كانت تحيا حياة خاملة بائسة سجينة الهم واليأس ؛ وبفضل ابنتها وغنائها العجيب دخلت هذه الدنيا الباسمة خجولة طامعة وكأنها فى حلم . كانت تقول لنفسها :

أيكافئ الله هذه الأم كما كافأ ابنتها ؟ أيمكن أن يغمرها على الدوام بفضله وإحسانه ؟ لقد حصلت على أكثر مما كانت تجرؤ أن تأمله . حصلت أولا على النجاح ثم على المجد ، ولم تحصل على المال الوفير فحسب ، بل إن أوربا بأسرها تتكلم عن ابنتها وأمريكا تستدعيها

وضحكت الأم والقميص ذو الدنتلا البيضاء لا يزال بين يديها . إن ابنتها جان ترتدى أفخر الملابس كإحدى الأميرات ، وتحلى رقبتها الصغيرة الجواهر التى لا يعرفها إلا الملكات

وتنهدت الأم من أعماق نفسها وابتدأت تغنى الأغنية الرائعة التى نالت بها ابنتها النجاح المدوى فى الليلة السابقة فى دار الأوبرا : فقد كانت القاعة تهتز من التصفيق العاصف . كانت الأم تحفظ عن ظهر قلب كل جزء من تلك الأغنية ، فقد سمعتها مئات المرات عندما كانت جان تحفظها بينما هى بجانبها تنصت إليها . وها هى ذى الآن تغنى تلك الأغنية ؛ على أن ذلك لم يدم طويلا إذ قرع باب الغرفة قارع ...

فقالت : من القادم ؟ ادخل !

فأجاب الأستاذ برجير وهو يدخل :

— ها أنذا !

ونظر الرجل حوله دهشا ثم قال :

أين إذن الآنسة جان ؟

فقالت : ليست هنا

فقال : ليست هنا ! آه ! يا لأولئك الفاتنات العظيمات ! ونظر بعينيه وقد بدا على وجهه ما يقصد ثم قال :

إنهن يغلقن أبوابهن فى وجه المدير الفنى دون أى حرج

فنظرت إليه الأم دون أن تفهم ما يريد وقالت :

أؤكد لك يا أستاذ برجير أن ابنتى ليست بالمنزل

فقال الرجل ساخرا :

إذن من التى كانت تغنى منذ لحظة ؟

فقالت : لم تكن جان ؟ وضحكت الأم ثم أضافت : أنا التى كنت أغنى

وبدا على الأستاذ برجير الدهش وقال وهو يهز رأسه :

أنت ؟ إنى لا أستطيع أن أصدقك !

وأكدت الأم له ما قالت وقد بدا عليها الاضطراب

قال الأستاذ برجير :

إنى لا أحب منها أن تغلق الباب فى وجهى إذا لم تكن تريد أن ترانى فى هذه اللحظة . إنى مدير فنى بلغت الشيخوخة فأنا أعرف هذه النزوات الغريبة ؛ إنى أعرف ذلك الصوت الذى سمعته ، وعلى ذلك لا يستطيع أحد أن يخدعنى

فنظرت إليه الأم بعينيها الهادئتين وقالت ببساطة :

إن جان نست بالمنزل

وفقد الرجل عناده وصمت مفكرا ثم قال دون تردد :

إننى لم أسمعك قط تغنين . وكان يجب أن أسمعك يوما ما مادمت كثير التردد على هذا المنزل

فقلت : إننى لم أغن منذ طويل ؛ وفى الأعوام التى كانت تدرس فيها جان كنت أقنع بالإصغاء إليها . كان كل اهتمامى منصبا على هذه الفتاة وعلى باقى أفراد الأسرة فلم يكن عندى الوقت الكافى لأغنى . وقديما عندما كنت أعانى الم الفقر كنت كثيرا ما أغنى لأنسى مشاغلى وهمومى

وابتسمت الأم قليلا ثم قالت :

نعم . فى ذلك الوقت كنت أسمر منى الآن . كنت أغنى لأجلب النوم إلى عيون أطفالى . وكنت أغنى أثناء عملى الماضى وأنا جالسة أمام طست الغسيل الساعات الطوال

وضحكت ثانية وقد بدت على وجهها علائم التفكير وهى تنظر إلى قميص جان

كان مدير المسرح أثناء ذلك يرمقها بعينه ثم قال بصوت منخفض :

حسن ! آسف لأننى لم أحظ بمعرفتك وسماع صوتك . ولو حدث ذلك لما قضيت وقتا طويلا من حياتك أمام طست الغسيل

كان الرجل يتحدث تلك المرأة التى افتهما الشيخوخة فرآها صغيرة الجسم تشبع فى وجهها تجعدات خفيفة . داهلة اللون . ولكن عينيها الداهلتين كانتا تنبئان بأن هناك نارا هادئة تستعر فى جوفها . فهز كتفيه وقال وهو يخرج من الغرفة

يا للخسارة !

***

بعد ساعة مما حدث كانت جان جالسة أمام المرآة ووراءها أمها تصفف شعرها وتحدثها عن الحفلة التى ستذهبان إليها

معا . قالت الأم :

سوف يكون هناك أرشيدوق وعدد من الأمراء . ما أعظم ذلك !

وألقت الأم نظرة إلى جان فتملكها السرور الغامر عندما رأت الحلة البيضاء كالعاج تحيط كتفي ابنتها بصورة فاتنة . كانت تنعم النظر في وجه ابنتها الدقيق في المرآة وقد بدت عليها سعادة تمتزج بها حشونة خفيفة . كانت ترى عينيها السوداوين تلمعان تحت جبينها الأبيض الصقيل . كانت تتملكها السعادة وهي تشعر بحرارة شعر جان المتعش الحي تحت أناملها . وفجأة غمرها السرور والاعتراف بالجميل فانسدلت تغني ثانية بينما كانت جين جالسة كطفلة صغيرة منصتة للغناء أمها وهي تصفف شعرها

ودخلت الخادمة فقالت :

إن رئيس فرقة العزف يريد مقابلة الآنسة

فقالت جان : فلينتظر !

وعندئذ صرخ رئيس فرقة العزف من الخارج قائلا :

كفي عن الغناء يا جان . لماذا تتعبين نفسك وتغنين دون دزن ؟!

فانقطعت الأم عن الغناء . ولم تجب جان وسمع صوت رئيس فرقة العزف من الخارج وهو يقول :

ومع ذلك فهذا غناء رائع يا جان . عندما أسمع أي صوت من ذلك لا أستطيع أن أمنع نفسي من القول بأن هذا رائع

ورأت الأم في المرآة تغيرا على وجه جان

وقال رئيس فرقة العزف من الغرفة المجاورة وهو يضحك :

لماذا لا تجيبيني !

فقالت جان غاضبة وقد نفد صبرها :

أرجوك اتركني وشأني . إنك تعرف جيدا أنني لا أغني

واستمرت ناظرة إلى الأرض دون أن ترفع ناظريها

وأثناء هذه الثواني ظهر بين المرأتين شيء لا يمكن تفسيره . ظهر وكأن بين الاثنتين حائلا سميكا . وفي الوقت نفسه اندماج قوي جمع بينهما . ونهضت الأم عملها بهدوء وخرجت من الغرفة في صمت

وفي المساء جلست الأم في القاعة الفاخرة التي سيدوي بين أرجائها صوت ابنتها . وقريبا من الساعة كان الحديث يدور بين المجتمعين في غرفة مضاءة بالأنوار اللامعة حيث جلست جان يحيط بها الحاضرون يغمرونها بالمديح المتحمس . ولمعان الرجيس كان على الأم جالسة مرتدية معطفا أسود يحيط بها سورة تحاول إخفاءها عن . كانت تستقبل كبار القوم الذين كانوا يتحدثون

أمامها تحية وإجلالا ومد لها الأرشيدوق يده وعلى فمه ابتسامة غامضة فردت عليه تحيته . وقال لها أحد القادمين : كيف لا نحسدين على أن لك بنتا كابنتك . ولقد سئلت خمس مرات أو ستا : ألا تغمرك السعادة الآن ؟ لقد كان هذا الإحساس بالمجد يملؤها بالسعادة . كان كل ما تأمله أن تمتلئ القاعة بالسامعين وكانت تقول لنفسها : هل ستفوز جان بنجاح كبير ؟ وكانت كلما خطرت ببالها هذه الفكرة اضطربت قليلا لأنها كانت ترغب رغبة حارة في أن ترى نجاح ابنتها عظيما رائعا

بيد أن اضطرابا غريبا كان يزداد تدريجيا في أعماق نفسها . كانت تتردد على سمعها كدقات الساعة كلمة المدير الفني حين قال عنها « يا للخسارة ! » وقول رئيس فرقة العزف « هذا رائع ! »

وازدحمت القاعة بالوافدين وامتلأت على سعتها بالسيدات الجميلات يزين أكتافهن الفراء الفاخر مرتديات ملابس غالية الثمن . واقتربت جان من البيان بينما كانت أمها تتبعها بنظراتها . كانت جان رشيقة متكبرة تتوجها فتنة الشباب . وكان شعرها الأسود ورأسها الصغير ينعكسان على الواجهة المرمرية البيضاء فيبدو منظرها جميلا ساحرا . وفجأة أحست الأم أنها هي التي على المسرح وليست ابنتها . رأت أمامها فتاة صغيرة في ملابسها الرائعة تروح وتجيء غير هيابة ومع ذلك فهي هي نفسها

وتمتمت الأم قائلة : « شبابي ! » وكأن شيئا في داخلها قد تمزق وتحطم إلى ألف قطعة

* * *

وارتفع صوت جان واضحا كيوم من أيام الربيع . منسجما حارا كضوء الشمس وكانت الأم تصغي إلى صوت ابنتها بانتباه أكثر من المعتاد وقالت لنفسها « هي أنا هي أنا » وانتابتها رعشة حين أحست ذلك الاحساس الغريب وهو أنها تسمع نفسها . فاضطربت أفكارها وأصبح لا يرن في أذنها غير تلك الكلمة « يا للخسارة! »

رأت الأم أمام عينيها غرفة صغيرة مظلمة ينبعث منها الهواء الفاسد المخنوق الرطب ورأت أطفالا صغارا . رأت أطفالها بين الوسائد القذرة يصرخون وينادون أمهم باكين طالبين أن تداويهم . رأت نفسها منحنية تحت فرن أسود يلفح وجهها بالبخار المحرق المتصاعد من الطعام القذر الذي تطهيه . رأت نفسها راكعة على ركبتيها تنظف أرض الغرفة وقد أكل الصابون أصابعها . رأت نفسها واقفة على حافة النهر رافعة طرف ردائها تغسل الملابس بالماء القذر الموحل وهي تتنفض من البرد القارس .

رأت كل ذلك فرددت كلمة المدير الفنى « لو كنت مررت من هنـاك » ولـكن لم يمر أحد . نعم لم تسمع الطروف فلم يسمعها أحد تغنى كما تحبت لابنتها جان فاكتشفت موهبتها

كان اضطرابها يزداد فتشعر بأنها فى حاجة لأن تتعلق بمقعدها . قالت لنفسها : حياتى . حياتى . قالت هذه الـكلمة بقوة لدرجة أنها التفتت حولها لترى إن كان قد سمعها أحد . إن ما يبحث عنه هذا الجمع الحاشد بحماس كبير ويعجب به بحرارة كانت تملكه هذه المرأة العجوز ولـكنها جهلته بل أضاعته . نعم أضاعته أثناء بؤس حياتها المضطربة . أضاعته من أجل أن تقوم بأعمالها الحقيرة . أضاعت نفسها وسط بخار الأطباق النتنة . أما موسيقى نفسها الرائعة ، تلك الموسـيقى العظيمة التى كان سيسمعها الناس بإعجاب كبير فقد بعثرتهـا على أرض الغرفة القذرة وبين أمواج النهر الآمين الموحلة

ورفعت نظرها إلى ابنتها فرأتهـا يعلو رأسها أكليل المجد الذى أحرزته بقوة صوتها الجميل وبدت كأنها مغتبطة بفنها وعندئذ قالت الأم لنفسها :

هل هى سلبتنى حياتى ؟ أهل هى انتزعت حياتى بتلك الشراهة القاسـية التى يبديها الأبناء نحو أمهاتهم ؟ أم هى قد ردت إلى ما افتقدته وحفظت لى ما لم أهتم بحفظه ، وهى الآن تبنى من جديد حياة محطمة من أجل أن تسعدنى ؟

وفجأة أحست بأن عاملا خارقا قد ربطها بابنتها التى كانت تغنى أمامها برباط وثيق . وفى الوقت نفسه شعرت بأن بينها وبين ابنتها هوة سحيقة . وعندما دوى التصفيق فى القاعة كنهر حطم ما أمامه من سدود ، تملكت الأم عاطفة قوية فاندفعت تصفق وأثناء ذلك جاء الأرشيدوق وانحنى أمامها قائلا :

إننى أعرف جيدا ما يجول فى هذه اللحظة فى قلبك كأم

ولـكنه لم يكن يعرف !

على كامل

أب رغم البحر

للمرحوم الأديب الأرمني بارد دمان

نقلها الأديب ن. ب. فطاريان

كانت قطع من الأنسجة المحلاة بالرسوم تزين داخل الغرفة بلونها الكستنائي، وتكسبها نظامة وأناقة. وكانت مائدة مستديرة تغطيها سجادة خضراء تشغل وسط الغرفة، ومصباح مكلل بمظلة معدنية تعكس النور الساقط الذي يوضح الأقسام السفلى من الغرفة تاركا زواياها العليا في ظلمة خفيفة رقيقة.

وامرأة في الأربعين من عمرها كانت جالسة قرب المائدة على أريكة تشغلها بجسمها الممتلئ، وعلى محياها قسمات حلوة، وبعض الشعرات البيضاء تبدو بين خصلات شعرها الكستنائي، وقد اكتسبت شيئا من الفضة تحت نور المصباح، ملتمعة كالفضة.

وكان رجل في الخامسة والأربعين من عمره جالسا قبالتها؛ وقد التمعت صلعة رأسه كالمرآة، وعلى قسمات وجهه الجامدة يبدو تهكم خفيف، دون أن يغير هذا التهكم شيئا من طيب سلقه، وقوة عزيمته البادية عليه. كان يتصفح كتابا منشورا بين يديه على غطاء المائدة، ويقلب صفحاته باستمرار وهو يلقي من حين إلى حين نظرة عطف وحنان على زوجته.

وفجأة انطلقت منه حركة انزعاج وملل، فأغلق الكتاب؛ وتحرك في جلسته بعد تنهيدة أرسلها، واستوى على الأريكة بكل جسمه ملقيا رأسه إلى الخلف.

— كفاك يا (سربوهي) ما اشتغلت، وبالأحرى في الليل؛ فكثرة الشغل تؤذي عينيك.. فلنتحدث قليلا.

فرفعت زوجته رأسها دون أن تنصرف عن شغلها اليدوي، ونظرت إلى زوجها بعينيها السوداوين الواسعتين نظرة عطف وقالت:

— لا يمنع عملي من أن نتجاذب أطراف الحديث. فإني على أن أفرغ من هذه السترة قبل نومه، لأنها لولدنا (هوسيبيك).

فقاطعها زوجها قائلا:

— حبذا (هوسيبيك)! ثم أضاف: تعرفين يا (سربوهي) أن ولدنا لم يقنط

بعد السادسة من عمره ، وهو يعامل هذه الفتاة الصغيرة التي يلعب معه بكل احترام وأدب . فكأنه يريد أن يغازلها ، أو يحب أن يدخل معها في دور غرامي . آه من الصبية في هذا العصر !

فقالت : لا تتكلم هكذا يا عزيزي . إن الذكور مرودون دائما بتلك الإحساسات صورة طبيعية . وإن لها علاقة متينة بتكوينهم الجثماني ، فسرعة نمو الجسم ؛ وتبدل الشعور والإحساسات تكون سببا لهذه التصرفات . وكيف كنت أنت في صغرك ؟

فأجابها الزوج بشيء من السخرية الغامضة : قائلا لست في الحق أذكر شيئا من عهد الطفولة

وأنت ؟ هل كان لك حبيب (كهوسيبيك) في صغرك ؟

فانصرفت المرأة لحظة عن شغلها اليدوي وأخذت تحدق في نقطة مجهولة ، وعلى ظواهرها تبدو حالة من يبذل جهدا لاسترجاع ذكريات قديمة جداً إلى ساحة ذهنه . ثم قالت : وأجفانها تكاد تنطبق على شيء من لذة غامضة ونشوة مجهولة :

— نعم ، كان لي حبيب (كهوسيبيك) عندما كنت في الثامنة من عمري . كان أهله يسكنون على بعد عدة دور من دارنا . ولم يكن بين أهلنا اتصال ولا علاقة .

ولكن ولدهم الصغير (أونيك) كان صبياً في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ممتلئاً بالخبث ومعروفا بالحركة والنشاط . في كل مساء بعد عودتنا من المدرسة كنا نلعب ونلهو معا على المرج الأخضر قرب دارنا مع أقراننا من الأولاد . وكان (أونيك) يبدي ميلا غامضا نحوي ؛ فكان يأخذ أوضاع المدافع عني ؛ وهو يمنع الأولاد من العبث بي وتعذيبهم إياي ، باسطا حمايته علي . أما أنا فبالرغم من ميله الشديد . ومظاهر المحبة الحارة نحوي ، كنت أشعر بميل ضعيف نحوه . غير أن التي كانت تعذبني وتصب لي الألم من تلك العيون البراقة ؛ تلك الأحداق الخبيثة السوداء . وكم كنت مشتاقة لمعانقته لتقبيلها . ولكني كنت أتهرب منه كلما أراد الاقتراب مني . فكأني كنت أتدلل ، أو أريد أن أكون غالية الثمن عليه في دلالي

سوف تدهش من أن طفلة في الثامنة من عمرها كانت تستطيع أن يكون لها إحساسات دقيقة مرهفة . حقا إن تلك الإحساسات والشعور لا تكون عن معرفة صحيحة أو إدراك تام ؛ ولكن الغريزة كما تظهر شديدة عند الحيوانات تظهر كذلك عند تلك المخلوقات الآدمية الصغيرة كنت أبذل جهدي لإراءة سحري

وجمالى (لأونيك) للظفر بنظرات الإعجاب منه . وعندما كنا نركض على الحشائش ويطارد بعضنا بعضا كان يلاحقنى فاتحا ذراعيه ، ويقبض على . فكنت أصرخ بشدة وأصيح صيحات متقطعة رعيبة . كان الصبى المسكين يقف متحيرا دهشا دون أن يفهم سبب صياحى ولا سبب هربى منه ومعاملتى له بهذا الشكل ...

وبينما كانت السيدة (سربوهى) غارقة فى حديثها . كان زوجها يصغى إليها بكل انتباهه ، وقد وضع مرفقه على طرف الأريكة وأراح ذقنه على كفه

وكانت المرأة تعمل بنشاط ورغبة أكثر من ذى قبل متأثرة من استعادة هذه الذكرى الحلوة البعيدة

واستأنفت قائلة : أحيانا عندما أنظر إلى ولدى (هوسبيك) يخطر على بالى (أونيك) المسكين . أواه ! كأنه هو بالذات : بعينيه البراقتين الخبيثتين ، وبحركاته المليئة بالخفة والنشاط . حقا إننى الآن أؤنب نفسى على تلك المعاملة . وقلبى يتألم من تعذيبى (لأرنيك) المسكين . كان عندما يحصل على بعض النقود يشترى بها الحلوى ويقدمها إلى لأتهمها . وكان يتأملنى بلذة وفرح : وأنا أتهم حلواه . وبعدئذ كان يمد يده وهو يظن أنه كسبنى ليقبض على رأسى وهو يقول : — يا حلوتى ! — فكنت أرسل صرخة فى الفضاء وأفلت من قبضته هاربة

والأمر الذى ما كان يقبل الشك هو أن ذلك الصبى الصغير كان يشقى ويتألم : ولكن هو نفسه أيضا كان يجهل سبب شقائه بدون شك

وفى ذات مساء بعد أن انصرفنا من المدرسة ذهبت إلى ملعبنا المعهود ، ولم أجد هناك إلا (أونيك) وكان الأولاد الآخرون قد تأخروا عن الحضور . أردت أن أعود إلى الدار تاركة (أونيك) وحده . غير أنه تقدم إلى وبين يديه قطعة من الورق مليئة بالحلوى . قدمها إلى ، وكانت عيناه تلتمعان أكثر من أى وقت مضى . وهو يراقبنى بشىء من الشوق والرغبة . بينما كنت ألتهم الحلوى واحدة تلو الأخرى غير شاعرة بتلك اللذة التى كنت أسبغها له . فكم كنت مشغولة بالتهام الحلوى حتى أنى لم ألاحظ كيف أن الملعون قد اقترب منى شيئا فشيئا . وفجأة شعرت بضغط حول عنقى ، وإذا بشفاه ندية حارة قد التصقت بخدى ، وسيل من القبلات أخذ ينهمر عليه . ماذا حدث فى تلك اللحظة ؟ أردت أن أصيح ، وأصرخ ، لكنى لم أستطع حتى كدت أن أختنق ،

فأخذت أحرك ساعدى لأفلت من ذلك الضغط ، ومن تلك القبضة . وأخيرا تركنى وانطلق يعدو . فالتهب الغيظ فى نفسى . ولم أدر كيف أصنع . أخذت حجرا من الأرض وشرعت فى مطاردته حتى اقتربت منه فقذفت رأسه بالحجر فإذا صرخة ألمة تنطلق منه . وإذا به يقبض على رأسه بكلتا يديه والدم يسيل . أما أنا فلم يكن منى إلا أن أسرعت فى الهرب . ولم تطأ قدماى ذلك المكان بعد ذلك أبدا

وبعد مدة قصيرة من الزمن غادرنا تلك القرية إلى مكان آخر . وحتى الآن لا تزال صرخة حبيبى (أويك) الأليمة تدوى فى أذنى ! فكم شتمنى ولعننى يا ترى ! ولكن هذه الذكريات هى أحلى ذكريات طفولتى

كانت عينا سيدة (سربوهى) السوداوان الدقيقتان يلمعان مشجعتين نحو زوجها شىء من الحنين البادى فى محياها

وفى ذلك الحين نهض زوجها من مكانه وقد أشرق وجهه بابتسامة حالمة . وتقدم نحو زوجته بعد أن أحنى رأسه أمامه وهو يرفع الشعر عن قفاه ويقول :

أترين هذه العلامة البيضاء ؟

وبينما كانت الزوجة تحدق فى العلامة دهشة : قال زوجها :

إنها أثر ذلك الحجر الذى قذفنى به

ن . ب نظار بار

آلام فرتر

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى

للأستاذ أحمد حسن الزيات

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

فتاة السرك

للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان الجمهور داخل السرك ينصت إلى الأغنيات الشعبية التى يصدح بها « الجرامفون » فى فترات الاستراحة ...

وكانت الموائد المحدقة بحلقة اللعب حيث يجلس الرواد الدائمون لا تكاد تلقى بالها إلى هذه الأغنيات ، لأن من عادتها كل مساء أن تستقبل فى تلك الفترات خطوات « رجاء » فاتنة السرك ، وهى تطوف بها لتوزع صورها الجميلة لقاء ما يمنحها به الرواد من قروش ...

وكانت رجاء الفتاة التى عرفت طبائع النفوس .. تحرص كل الحرص على أن تصنع لكل صورة إطارا نفسيا خاصا يختلف عادة باختلاف الرواد !

فحين تمر بمائدة يجلس عليها جمع من الشباب كان هذا الإطار يتألف من تلك الابتسامة الساحرة التى يظن كل من يراها أنها له ، ومن تلك الانحناءة الرقيقة للعنق الناحى ، تلك الانحناءة التى تستتبع عادة ميل متسلسلات شعرها الأشقر الفاتن إلى جانب وجهها فى دلال مثير !

وحين تنتقل إلى مائدة أخرى تجلس إليها عائلة ، فإن الإطار يتغير عن ذى قبل ، فتبدو تلك الابتسامة وادعة خاضعة ، ويعتدل العنق المائل ليرتفع بالرأس الصغير فى شرود ساحر ، بين لحظة وأخرى تطرف العيون الفاتنة بنظرات كأنها خجولة !

وكان لهذا الإطار المتغاير دخل كبير فى تقدير الثمن المناسب للصورة المهداة ..

وانتهت خطواتها إلى مائدة منفردة تحدق بها عائلة صغيرة قوامها زوج وزوجة فى نهاية العقد الثانى ، وطفل صغير !

ولم تكد تمد يدها بالصورة نحو الطفل الذى كان يشير إليها بيديه الصغيرتين حتى أخذها منها ثم هتف بعد أن نظر إليها قليلا ... الله ! ... الصورة دى زيك تمام ياماما ! ثم أدناها من فمه فى سذاجة محببة وقبلها بطريقة جعلت أبويه يغرقان فى الضحك !

ولأول مرة لم تنتبه رجاء إلى ما تصنع بالقطعة الفضية التى أعطاها إياها الزوج ... لم تفكر فيما إذا كان ينبغى أن تأخذها كلها أو تعطيه فكتها ليعطيها هو ما يشاء من قروش ! لم تفكر فى شىء من ذلك ، وإنما

وسمعتها بلا وعى فى جيبها الخارجى ، وظلت مشاعرها كلها موزعة حائرة كأنما كانت تحاول أن تجمع من الفضاء نبرات ذلك الصوت الصغير البرئ لتسمعه من جديد !

ولأول مرة أيضا نسيت أن تقول كلتها التقليدية « مرسى » وإنما مدت يديها لتجمع بينهما ذلك الوجه الصغير وتطبع على وجنتيه قبلتين ناحرتين !

ولأول مرة أيضا نسيت عددا من المواعيد كانت تمر بروادها كل مساء ... وفى خطى مذعورة كانت تسرع نحو حجرتها الخاصة لتغير ثيابها التى تختلف باختلاف الأدوار !

وكان لا يزال هناك فسحة من الوقت فاستلقت على مقعد عالية محدرة .. حتى هذه اللحظة لم تكن تفهم حقيقة مشاعرها وإنما كانت تحس كأن هناك أشياء خفية مبهمة تتجاذب تلك المشاعر بل وتصنع بها خيوطا دقيقة متشابكة وتنثرها فى الفضاء .. كانت تحس كأن فراها مسرعة وموزعة على تلك الخيوط الدقيقة المتشابكة ! وروبدا روبدا بدأت هذه الخيوط تتقارب وتجتمع وتلتقى على سوطرها خلالا واضحة المعالم بارزة السمات !

ما أكثر ما كانت تسمع من همسات المزل وكلمات الإطراء ! وما أكثر ما كانت ترى فى عيون المذارى من الوله المثير والهيام اللح ! ولكنها مع هذا كله لم تكن تهتز ، بل ولم تكن تختلج . كانت حتى فى اللحظات الحاسمة حين تقف فوق هرم من الأجسام الرياضية المفتولة لتؤدى ألعابها المثيرة ، كانت حتى فى هذه اللحظات تقف لتواجه عيون النظارة التى تكاد تخرج من محاجرها دون أن تشعر بأدنى اضطراب ! فما لها الآن لا تملك أمر نفسها ولا تكاد تمسك زمام مشاعرها ؟

ولكن ، ولكن ماذا يا رجاء ؟ وإياك تكذبين على نفسك ، فما كانت همسات المزل ولا نظرات الوله جديرة بأن تتفذ من أذنيك إلى قلبك حتى يخفق أو يهتز . أنت تعرفين إن هذه الكلمات قصير ، كالفقاقة المذعور . إنها تولد هنا فى السرك وتموت هنا أيضا قبل أن يخرج الرواد ليهمس بعضهم فى أذن بعض قائلين : لقد كانت سهرة عامرة بالضحكات حافلة بالطرائف حتى شعرت برغبة فى العشاء مرة ثانية !

لا يا رجاء ! إنها كلمات ميتة لا تهز قلب عذراء . عذراء ؟ ماذا قلت يا رجاء ؟ أليست تلك مغالطة أخرى ؟ أين أنت من العذارى يا فتاة !

لقد ضاعت من حولك تلك الأردية الأطيفة الشفيفة التى تزفل فيها العذارى دائما كما تزفل الورود فى غلائل شفافة من قطرات الندى الصافية !

هذه الأردية التي تلف الطبيعة فيها عرائسها الصغيرة حتى ترفرف إلى العش السعيد .

هناك حيث تمتد يد الرجل الموعود لتفك عروتها واحدة بعد واحدة !

الصمت الخجول .. الهمس المرتبك .. الحمرة الشفيفة .. البسمة العذراء .. كل هذه الأردية يا رجاء تمزقت عنك ... مزقتها عيون الرواد منذ كنت صبية في الرابعة عشرة من عمرك !

لا ! لست عذراء لست امرأة ... من أنت يا رجاء ؟

وهنا فقط بدأت حياتها تدور على نفسها إلى الوراء ، كانت تعرض أمام عينيها كل ما أخفته في ظلالها الأيام ! كنت حبيبة صغيرة ذات يوم ، وكنت وقتذاك لا تكفين لحظة عن الضحك السعيد . كان يزهيك أن تنجحي في أداء الأدوار برغم ما فيها من قسوة لا تلائم عودك الغض وجسدك الرطيب ، مادمت ستسمعين أخيرا ذلك التصفيق المتواصل الذي تتمثرين في أصدائه وأنت تجرين في مرح خارجة من الحلقة ، وأيضا مادمت ستنالين نصيبك من تلك الهدايا التي يؤثرك بها أبوك بين حين وحين ، وهي لا تخرج عادة عن النقود اللامعة أو الفساتين الجديدة أو العقود الغالية ثم ، ثم جاء اليوم الذي أصبحت فيه كما يقولون عن أمثالك عروسا !

كان قلبك الصغير يفتح أبوابه لهذا الضيف الخالد الذي يحمل في يديه غذاء الأرواح !

وبدأت أوقاتك تمتلئ بالرؤية البهيجة والأحلام الخضراء ، وكانت أيامك تمضي وكأنها تترنح !

ومنذ ذلك الحين يا رجاء بدأت تدركين أن في الدنيا أشياء أخرى جميلة غير النقود وغير الفساتين وغير العقود ، بل أدركت يا رجاء أن هذه الفساتين الجميلة والعقود اللامعة والمطور الفواحة ليست في ذاتها الأمل المرجو والحلم الكبير ... إنما هي درجات في السلم المرتفع الذي يعلو بنا إلى السماء الجميلة هناك ، حيث الرجل المنشود . الرجل الذي يضاعف من أعجابه جمال الفستان وعبير المطر وريق العقد !

وهنا تعثرت خطوات أحلامك في ثلوج الحقيقة الصلد ... تلك الحقيقة التي عرفتها بفطنة المرأة وغريزة الأنثى ، وانتهيت منها إلى أن هذا الرجل المنشود لن يدخل حياتك إلا من هذا الباب المسحور ... باب الحلم والوهم والخيال ... لأن جميع الأبواب الأخرى موصدة . يقف خلفها ذلك الرجل الموهوب . ذو النظرات القاسية والشارب الغليظ والتقاطيع الصلدة . ذلك الرجل الذي يملك من أمر هذا السرك كل شيء ، والذي

ينادونه كل أفراد الشرك يامعلم ، وتنادينه أنت يا أبي ! ترى هل تأنيت يارجاء لأنك تعرفين أن كل أب فى حياة كل عذراء إنما يبذل قصارى جهده فى تستر ولباقة ليظفر لابنته بالزوج المنشود ... ولأنك تعرفين أيضا أن هذا الرجل الموهوب إنما يبذل نفس الجهد فى تستر ولباقة ليحول بينك وبين هذا الزوج المنشود !

إن انتقالك إلى بيت الزوجية معناه فى لغة الواقع التى لا يجيد أبوك غيرها من اللغات ، معناه شيء واحد : هو أن ينتقل جميع أفراد الشرك وعماله وعلى رأسهم أبوك نفسه إلى الشارع ليؤدوا دورا جديدا على ناصيته ، هو التسكع والبطالة !

أجل تلك هى الحقيقة التى لاتغنى عنها أحلامك .. فهؤلاء الرواد جميعا إنما يحضرون هنا من أجلك ، من أجل عينيك يا رجاء .. قومى وتأملى فى المرآة عينيك ، تأملى هذا الإشراق الساحر الذى ينبعث منهما ليذكر الناس بأيامهم الجميلة . تأمليه لحظة واحدة لأنه ليس بمقدورك أن تتأمليه أكثر من ذلك ! ثم .. ثم طوفى بنظراتك حول هذا الوجه الذى تصلى أهدابه فى محراب العيون .. ثم تذكرى أنه ليست مرآتك وحدها هى التى تضم صورته ، وإنما هناك مئات من المرايا الأخرى تعكس نفس الصورة .. ولكن هنالك فى قلوب الرواد ثم اهبطى بعينيك حول هذا القوام المشوق وتخيلى كيف يمكن أن يبدو وهو يتأود فى خطوات مرتبكة داخل الطوق الحديدى الذى يبدو فوق سلك دقيق !

هذه الكنوز كلها يارجاء تجلب إلى أبيك مئات من الرواد مئات ؛ ولكنها لاتستطيع أن تجلب إليك رجلا واحدا يمكنك أن تجلسى معه إلى مائدة واحدة وبينكما طفل صغير .. كهذا الطفل الذى قبل صورتك وهتف بصوت صغير بريء :

— ألله ! الصورة دى زيك تمام ياماما !

آه يا رجاء .. لقد لفحت هذه الكلمات مشاعرك كلها وهزت كيانك كله ونضرت أصداؤها الندية فى أرض حياتك أوراق حلم ذابل !

آه يارجاء ! لقد تمنيت وقتذاك لو كنت مكان الصورة لتحسى وقع شفتيه النديتين على خدك ، وتتركى وجهك لحظة لأنامله الصغيرة تعبث به كما تعبث بالأشياء !! ومع هذا كله فإن أباك يعتقد أنه أراح ضميره أمام الله حين عرض عليك أن تتزوجى من أحد أفراد الشرك وبهذا لايكون قد حال بينك وبين حقك الطبيعى فى الحياة !

أرأيت إلى منطق التجار يارجاء ؟ إن حقك الطبيعى فى نظره يتمثل فى رجل ؟

مجرد رجل !! ولكن أنى لهذا الأب يارجاء أن يسبر غور أحلامك ليعرف أنك لاتريدين مجرد رجل ؛ وإنما تريدين حياة أخرى فى مكان آخر . هذه الحياة الأخرى التى تحلم بها كل عذراء مهما كان نصيبها من الجمال! هذه الحياة التى ترفرف فى عش صغير هادىء بجناحى زوج وطفل ! هناك حيث تقضين وجه النهار السعيد .. تغسلين الأطباق أو ترتقين الجوارب ثم تهيئين للزوج الغائب طعام الغداء ؛ حتى إذا عاد واحتواك بين ذراعيه فى لهفة وشوق وقال بصوت تقطعه القبلات .. هل من الواجب يا عزيزتى أن أشكر لك .. كل ذلك ! فأقول له : هذا إذا كان من الواجب أن اشكر لك هذه القبلات!

ولكن ... ولكن حسبك أحلاما يا رجاء ! فهناك حقيقة أخرى هائلة لن تغنى عنها أحلامك ... !

حقيقة تلك الصفقة التى عقدها أبوك مع الجمهور يوم باعه حياتك كلها وأعطاك هذا الثمن المزيف ... الهتاف .. التصفيق ... الإعجاب ... الشهرة ... ! كل هذه الفقاقيع كانت هى الثمن .. ثمن القلب الذى ضاع وضاعت أحلامه والعمر الذى أقفر وإن سهرت حتى الصباح لياليه .. !

أترين أن تصدق حقيقة هذه الصفقة يا رجاء ، لتعلمى ماذا تقابل حياتك فى حياة الناس ؟

إسمعى يا رجاء ... إن لكل فرد من رواد السرك وزبائنه حياته الخاصة التى يعيشها بملء حريته ويمضى فى أرجائها على هواه ... حتى إذا أراد أن يلهو وأن يعبث وأن يعيش جزءا فارغا من حياته جاء إلى هنا حيث تقدمين له حياتك كلها .

أرأيت إذن إلى حقيقة الصفقة ، بل إلى حقيقة المهزلة ، مهزلة حياتك يا فتاة .. !

هذى أنت يا رجاء فهل عرفت أخيرا من أنت ؟

وكانما أشفقت عليها الأقدار من التمادى فى تفكيرها هذا المر ... فاستوقف خواطرها رنين حاد متواصل تعودت رجاء أن تسمعه كلما اقترب ميعاد دورها فى اللعب !

ومضت لحظات قصيرة كانت بعدها قد لبست ما يلائم الدور الجديد من ملابس ؛ ولم تنس وهى خارجة أن تستعيد لشفتيها ابتسامة إنسان سعيد ، ولحركاتها رشاقة ظبى سارح . ولم تكد تظهر فى الحلقة حتى دوت جوانب السرك بتصفيق حاد كان يتخلله حشد من الكلمات النزلة والتحايا الشعبية !

وشيئا فشيئا بدأت الأصوات تسكن والحركات تهدأ والأعين تشرئب والنظرات

تعبر فى صدق عما يضطرب فى النفوس من قلق ودهشة وإعجاب !

كانت رجاء إذ ذاك تؤدى حركاتها البارعة وهى فوق سلم خشبى دقيق يرتكز فوق قدمى رجل قد استلقى على ظهره ورفع ساقيه فى خطين متوازيين بعد أن ثنى وركيه فوق صدره !

وحين فرغت من أداء حركاتها المثيرة كان عليها أن تقف لحظة كما تقضى قوانين الملعب لتحيى الجمهور وهى هناك فوق السلم الذى لا يعتمد على غير الله ... !

وبدون أن تشعر وجدت عينيها تتصفحان وجوه الجماهير بلهفة وشوق وكأنها قارئ يقلب أوراق كتاب ليعثر على صفحة خاصة .. وأخيرا وقعت عيناها على تلك الصفحة الخاصة كانت تحمل صورة لأسرة صغيرة قوامها زوج شاب وزوجة فى نهاية العقد الثانى وطفل صغير ... !

ولا تدرى لماذا أحست كأنه لا يوجد فى السرك سواه .. ذلك الطفل الذى التقت عيناها بعينيه فى نظرة عميقة ! شعرت رجاء بعدها بأن كيانها كله يهتز وجسدها كله يتنفس

و ... و ... ولم تعد بعد ذلك تشعر بشىء !

* * *

يا صديقى ... ترى هل أنت فى حاجة بعد إلى أن تسمع بقية القصة ؟ لا أعتقد ولكن الوفاء للواقع يوجب أن تسمع تلك البقية من أفواه الجماهير التى خرجت وقتذاك ولا حديث لها سوى تلك البقية !

كان البعض يردد فى أسى وأسف مسكينة ! يبدو أنها كانت مرهقة من طول ما تؤدى من أدوار ، ويبدو أن هذا هو الذى جعلها تفقد توازنها فى اللحظة الأخيرة !

وكان البعض الآخر يؤكد أنها قد حسدت ، فما لا شك فيه أنها كانت مثار إعجاب خطر ... !

وكان لا يزال هناك فريق آخر يبدو أنه كان أكثر ذكاء من بقية الناس ؛ فقد كان هذا الفريق يهز رأسه بغير اكتراث كما يفعل الأذكياء ؛ وكان يقول بصوت خافت مخلوط : إنهم يفعلون ذلك عادة استجلابا لعطف الجمهور !

محمد أبو المعاطى أبو النجا

اعتراف القاتل

لمى زيادة
بقلم الأديب نبيل الخليفة حسن الزيادنة

ذاعت القرية .. وعقلت تفكير أهلها حيرة خرساء . فراحوا يتساءلون ، مشدوهين مستفسرين عن الحادث الذى وقع ليلة أمس بعد وجدوا صباحا ضحيتين رجلا وامرأة غدر بهما مجهول ، قطعهما بخنجر وأرداهما قتيلين

وبعد التحقيق عنهما .. والكشف عليهما .. تبين أنهما من كبار أغنياء المدينة المجاورة للقرية ، ومن أولئك المرموقين بين أهلها ، ولم يكن قد مضى على زواجهما عام وذلك عندما ترملت المرأة من زوجها الأول

وذهب اعتقاد الناس إلى أن القاتل رجل شغف بحب المرأة ، وهام وجدا بها ؛ فلما لم يحظ بها انتقم لنفسه وثأر لحبه

وبالرغم من فرض الرقابة الشديدة .. والتفتيش المستمر فى أنحاء القرية .. لم يعثر على أى أثر للقاتل

مضت أسابيع كادت الجريمة خلالها تنطوى ، وتنسى إلى الأبد . دون أن يعرف القاتل أو يهتدى إليه ، فظل يرتع فى ربوع الحياة دون أن يمسه أذى

وفى أحد الأيام ، دخل مكتب التحقيق شاب فى العقد الثالث من عمره .. مربوع القامة ، أشقر الشعر .. أزرق العينين .. وقد عرف بين أهل القرية أنه النجار الأمين الذى يعمل فى حانوته بجد ونشاط دون أن يمكر سقو أحد

فاندفع أمام قاضى التحقيق وقال :

سيدى القاضى : أنا المجرم .. أنا القاتل الذى تفتشون عنه ، ولم تهتدوا إليه ، فانظر ماذا تأمر ...

فدهش القاضى لهذه الجرأة .. فابتدره قائلا:

كيف تكون القاتل ، وهل سبق أن عرفت القتيلين ؟

فأجابه الشاب دون وجل :

نعم .. لقد عرفت الرجل منذ عامين .. أما المرأة فلم يمض على معرفتى إياها أكثر من ستة أشهر ... كانا يترددان بين حين وحين على حانوتى ... يشتريان منى بعض ما يحتاجان إليه ، أو يطلبان إلى أن أصلح لهما أثاث منزلهما ...

فسأله القاضى : إذن لم أقدمت على قتلهما ؟

فأجابه : قتلتهما لأن نفسى سولت لى

أن أقتلهما ...

وحاول القاضى أن يستفسر منه أكثر من ذلك ، ولكن الشاب امتنع عن الإجابة عن الأسئلة التى وجهت إليه

وتحروا ماضى الشاب فتبين لهم .. أنه جىء به إلى القرية وهو طفل صغير ، فتبنته إحدى المرضعات حتى كبر وشب وأتقن فى هذه المدة صناعة النجارة ، كما عرف بين الناس بخلقه القويم ، ونشاطه فى عمله ووداعته وانطوائه على نفسه حتى أطلقوا عليه لقب الزاهد

وثبتت التهمة عليه فأحيلت قضيته على محكمة الجنايات .. وأراد المحامى أن ينقذه من ورطته فوصفه بأنه معتوه ، فكان مما ذكره فى دفاعه عنه قوله :

من المستحيل أن يتصور عقل أن يقدم هذا الزاهد الأمين على القتل ، فيقتل بمجرد أن سولت له نفسه ذلك ، مع أن القتيلين كانا من خيرة زبائنه .. وقد ربح سهما مبلغا يتجاوز ألفى فرنك

إن مثل هذا الرجل الذى لم يمكر عيش أحد ، ولم يقدم يوما من الأيام على أذى أحد ، جدير أن نفكر فيه ملياً ، ونرى أنه ليس من المعقول أن يقدم اليوم على قتل اثنين

وفرغ المحامى من دفاعه ، فالتفت الرئيس إلى المتهم ، وسأله : ألديك ما تذكره ؟

فأومأ الشاب برأسه ، ووقف وراء قفص الاتهام وكانت الأنظار ترنو إليه فى تساؤل ، ورفع المتهم رأسه ، وقال بصوت جهورى ينبعث منه رنين الشجاعة والهيبة ... :

سيدى الرئيس ... حضرات المحلفين .. والمستمعين ...

إنى لا أرضى أن يحكم على بالعته ، ولا أقبل هذه السفاهات التى يرددها بعضهم لتبرئة ساحتى على حساب تشويه سمعتى وامتهان كرامتى . أريد أن أعترف بالحقيقة الواضحة ، وأجلى الشك من نفوس الناس كى لا يعترى أذهانهم أى لبس ولا أى استفهام ...

فأنا أفضل الموت فى ظلال العز والشرف ، على حياة ملؤها الخزى والعار .

فأنصتوا إلى ، ثم انطقوا بالحكم الذى ترونه

ووقف عنيهة يجل الطرف فى الحضور كأنه يبعث من أعماق الذكرى حوادثه التى وأدها الماضى فى حياته ... والتفت إلى الرئيس وقال :

ما إن فتحت عينى للنور حتى دفعتنى أمى إلى إحدى مرضعات هذه القرية ، وأقصتنى عنها ، وأبعدتنى عن حمايتها ، ثم امتنعت عن أداء أجرة [illegible] ، فأخذت هذه

رعانى . و تتعهد تربيتى إشفاقا على . ورحمة بطفولتى الشريدة . وقدمت لى المحبة والحنان اللذين حرمتهما من أبى التى تنكرت لى

وهكذا حتى كبرت وشببت فإذا بى بعدما أصغيت إلى صدى نفسى خالجنى إحساس مريب . وخامرنى شعور غريب هو أنى لست كامل الشرف والكرامة

وأن الكلمة التى كان أصدقائى فى المدرسة يرددونها عنى ، ما تزال ترن فى أذنى، فتثير كوامن الغيظ والألم فى نفسى ، تلك الكلمة هى — «لقيط» ، لكننى أعذرهم لأنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد ما تنطوى عليه هذه الكلمة من معان ، إلا أننى أشعر بسوء وقعها فى نفسى ، وفتح طالعها فى حياتى . غير أننى كنت أتجلد ولا أظهر غيظى وإن كنت قد أحسست فى ذلك الوقت أن تلك الكلمة قد نقشت فى سويداء قلبى ، فأحدثت أعلم أننى ثمرة جناية والدى اللذين أقدما على الإثم ، فكنت ضحيتهما البريئة

إن الآباء ينتظرون بفارغ صبرهم أن يجنوا الثمرة التى تهبها الحياة لهم ، فهم يصيخون بنفوسهم إلى أصوات أبنائهم

إن الأمهات يقبلن على حياة الأمومة بقلوب مفعمة سرورا وجوارح ترتعش حبورا ، ويهدهدن سرر أطفالهن ، يناغينهن أمل المستقبل ، ويداعبهن رجاء النجب وهن ينصتن إلى بكاء أطفالهن

ولو كان حبهما — حب أبى وأمى — قائما على حطام منزل زوج أمى الأول لسعدت بحياة غنية بالسعادة والهناء يكنفها حنان الأمومة وتظللها رأفة الأبوة ولكنهما افترنا على أنقاض حبهما الزائف فكنت الضحية البريئة ... وأصبحت فى هذه الحياة وحيداً شريداً طريداً

كان الواجب يقضى عليهما أن يحيانى ولكنهما أنفضانى فنبذانى عنهما وأقصيانى يقولون إن المرء مدين لوالديه بالحياة ، ولكن هل تعتبر حياتى ... حياة التشرد والهجر حياة ؟ وهل أدخلت فى نفسى غير العداوة والبغضاء لهذين اللذين تمنيا موتى ، فنبذانى وأنا طفل فى المهد ...

يا سادة

إذا هاجمك سارق ومد يده إلى جيبك وأراد أن يسلبك مالك فربما قاومته وإذا داهم بيتك أحد وشتمك ... لانتقمت لنفسك . وإن خانك إنسان أو جردك من الشرف والحرية ... حاولت أن تأخذ حقك السليب منه

أما أنا فقد جردنى والدى من شرف وسلبنى حريتى وعزتى ... ومزقنا باسمى ثم أسقطا حيائى نبذهما إياى وعدم اعترافهما بى

لقد كنت مخدوعاً بشرفي من قبل ؛ أما بعد ماتيقنت أن جريمتهما هي أشنع مارتكباه ، وأن خطيئتهما لايغفرها أحد، صممت على أن أنتقم ؛ لأني علمت أن حريتي المسلوبة تدعني إلى أن أنتقم لنفسي وأغسل بدمهما العار الذي لطخا به سمعتي

ربما تقولون ... إن قتل الوالدين جريمة شنعاء ؛ لكن الوالدين اللذين يبذلان وليدهما صغيرا ، ويشردانه في مجاهل الغيب طفلا ، لايحق لهما أن يكونا والدين !

لقد عاشا في كنف حبهما الرغيد ... ونبذاني في صباء الشقاء المتبد ليمحوا عن سجل القضاء عارهما بولادتي ... ولذلك قررت أن أجازيهما بالمثل ... فأمحو العار الذي ألحقاه بي ، بأنني مجهول الأبوين . لعيط !

سادتي

لقد كانت فكرة الصفح عنهما تخامر ذهني فسكنت على وشك العفو .. فأبا لهما المحبة والوئام، وأشاركهما العيش والحياة، دون أن أبوح بسرهما ، ولكنني اضطررت إلى أن أقصي هذه الفكرة عني .. وأن أقدم على الانتقام

منذ سنتين جاءني رجل في الحانوت ولم يسبق لي أن رأيته من قبل ، وطلب مني أن أصنع له مائدتين ، وعلمت أنه استخبر عني قيس الغربة فاستغربت أمره ، ولكني لم ألق بالا إليه

وبعد أيام طلب مني أن أصنع له مقعداً . ومما أدهشني أنه كان يدفع لي القدر الذي أطلبه منه دون أن يساومني ، كما كان يخاطبني بلهجة تملؤها الرقة والحنان مما حفظت له من أجل ذلك حباً في قلبي وأضمرت له إخلاصاً في عملي

وبعد مدة جاءني برفقة امرأة قال إنها زوجته . فما دخلت حانوتي واقعدت مقعداً حتى بدت علائم الاضطراب تظاهر جلية على وجهها ، فاعتقدت أنها علينة ؛ وكانت كل نظراتها تصوبها نحوي ، وكنت كلما سألتها عما أصنع لها وكيف ! أجابتني : نعم . ولا تزيد على ذلك كلمة ، وبعد أن غادرا الحانوت .. وانصرف عني اعتقدت أنها مصابة بخبل أفقدها التفكير

وبعد أيام عادت تلك المرأة برفقة زوجها ، وكانت في هذه المرة أثبت جرأة ، وأوفر شجاعة من المرة الأولى . وجلست تسألني أين قضيت مرحلة الطفولة ؟ وكيف كانت حياتي ، ومن هما والداي .. و..

فرحوتها ألا تسألني عن والدي .. ولا عن حياتي التعسة

فقالت : ولم ؟ أهناك مايمنعك أن تحدثني عن والديك ؟

قلت : نعم ، فقد أجرما في حقي ، ولذلك

لا أريد أن أنكأ جروحى ، فهما فى نظرى من المجرمين ولا يغفر جريمتهما الشنعاء إلا الانتقام لقد نبذانى صغيرا وشردانى طفلا دون أن يرعا لبراءتى .

وما إن سمعت المرأة منى ذلك حتى اصفر لونها وزاغ بصرها وانطرحت على المقعد عاجزة القوى مغشيا عليها ؛ فتملكتنى دهشة عارمة ، فسألت نفسى أتكون هذه أمى تلك التى هجرتنى ، ولم تعطف على ؛ بل انطلقت وراء حبها .. طائشة ؟

ولما أفاقت من إغمائها أسندها زوجها إلى ذراعه .. وانصرفا

* * *

جلست فى الحانوت وحيدا مفكرا فى أمر تلك المرأة وذاك الرجل . وانتهى بى التفكير الطويل إلى أنهما والدای

فالمرأة هى أمى ؛ أما الرجل فهو أبى بعينه

وفى أحد الأيام عادا معا إلى الحانوت فلمست الاضطراب والقلق فى قسمات وجه المرأة . وقبل مغادرتهما الحانوت قالت:

إننى أدعو لك بالتوفيق والتقدم المطرد فى أعمالك ؛ لأنى ألمح فيك حسن الخلق وطيب النفس وصفاء السريرة .. وها أنذا أقدم إليك هذا المال الزهيد كى تقضى به حوائجك ، واستعين بواسطته على تمهيد طريق مزدهر لمستقبلك

وناولتنى بضع ورقات من المال بينما كان نظرى معلقاً بها لا يحيد . ودون أن أشعر صحت بها . أمى ! أنت أمى !

فارتاعت منى وابتعدت عنى وجحظت عيناها ، وهمت بالبكاء ، بينما أسرع الرجل إليها وأخذها بين ذراعيه وصاح فى وجهى

أمعتوه أنت ؟ هل فقدت رشدك ؟

فأجبت بصوت خافت :

لا ، لست معتوها . لقد تيقنت أنك أبى وهذه أمى ، فاعترفا بأنكما والدای ، وإننى أقسم لكما ألا أبوح بسركما ، ولا أخون وداديكما ..

وسحب الرجل امرأته من يدها وهم بالخروج ، ولكنى أسرعت إلى الباب وأغلقته . ثم التفت إليه وقلت : هل تنكر أنها أمى ؟ انظر إلى حالتها وهى تبكى . إن هذا لأكبر برهان على ذلك

فاعتاظ الرجل منى ، وارتعدت فرائصه وتجسمت الجريمة التى اقترفها أمام ناظريه ؛ ورأى أن سره سيذيع ، وستلوكه ألسن الناس . فما عساه أن يفعل ؟

فصاح فى وجهى : اسكت ! حقاً إنك ولد ، تريد أن تتهمنا .. إليك . عنى إنك ولد لئيم

فالتفتت إليه والدتى وقالت : لنخرج من هنا بإبى أشعر بضيق

فصاح الرجل بنا : افتح الباب وإلا أطلقت أمرك لرجال الأمن ليقبضوا عليك ويودعوك السجن ليذيقوك العذاب الأليم .

ففتحت لهما الباب فأمرنا بالخروج ، لا بلويان على شىء . وما إن غابا عن ناظرى حتى خيل إلى الشقاء الذى رافقنى فى حياتى فمرمرنى الحزن والأسى فبكيت ..

لقد انقلبت عاطفتى نحوهما وحبى لهما إلى بغض وكره .. فكانت نفسى تسول لى أن أنتقم لشرفى الجريح ، وأنتصر لعزتى وآثار لكرامتى ، فأنتزع من حنايا صدريهما حياتى .

فهمت على وجهى فى سكون الليل وهدوئه أسير بالقرب من الشاطىء ، أستعرض فى مخيلتى ذكريات طفولتى المحرومة التعيسة .

وبينما كنت فى لجة التفكير لمحتهما عن كثب فأسرعت نحوهما أستغرق السمع ، فكانت أمى تبكى وتنتحب بينما كان أبى يخفف من لوعتها ويقول لها : أرأيت الفاجعة التى كادت تحل بنا فينكشف أمرنا ؟ لقد قلت لك إن ما اقترفناه من ذنب وإثم ، لا يسمح لنا أن نقدم على ذلك ، فتتبع أثره وهرعت نحوهما ، ووقفت أمامهما باسما وخاطبت أبى قائلا :

ألم أقل لك إبك أبى ، وهذه أمى .. أنتما والدای . لقد نبذتمانى صغيرا فيل ترعبان أن تطردانى ، وتتنكرا لى ثانيا !

سيدى الرئيس ، سادتى المحلفين

أتذكر كم أن أبى رفع يده ، وأراد ضربى ، ولكننى أمسكت بها ورجوته بأنى كنت أسأت إليه أن يغفرلى ، وليعفو عنى ، ولكنه مد يده الأخرى إلى جيبه وأخرج مسدسا وصوبه نحوى . عندئذ طار صوابى وفقدت وعى وجن جنونى فأخرجت مديتى وأغمدتها فى عنقه .. وفى أحشائه ، فوقع يتخبط على الأرض ويسبح فى دمه

وأخذت أمى تستغيث ، وتستنجد صائحة فى وجهى ، وكانت تضربنى بكفتا يديها مما آلمنى فثارت ثائرتى عليها فطعنتها فى صدرها دون أن أعى ما أفعله وما أقترفه من ذنب ..

ولما شاهدتهما جثتين لاحراك بهما حملتهما وألقيتهما فى النهر فحملتهما المياه إلى

هذه هى قصتى سردتها على مسامعكم دون أن أزيد فيها أو أنقص منها ، فانظروا ماذا ترون ..

وجلس المتهم .. وأخذ يمسح العرق الذى انبعث من جبينه بينما كان الرئيس يشير إلى أجيل النظر فى القضية للجلسة القادمة .

دمشق عبد اللطيف حسين الأرناؤوط

الزنبلاء

للدرامي البرازيلي أوجستس دسا

بقلم الأستاذ ابن كنان كرباج

شتهر (ملو) بمهارته في العزف على الرباب، ومساهمته في كل حفلة غنائية موسيقية برصد ريعها لمعاهد البر والإحسان. وعندما كان هذا الفنان يحتضن ربابه، ويأخذ في مداعبة أوتاره بتفنن ولباقة، عازفا عليه أنشودة شعبية، أو كلاسيكية، كان الرباب بين يديه بصورة مؤثرة تحرك أعشار القلب

وكان لملو مزرعة كبيرة في إحدى مناطق هذه الولاية. فكان يقصد إليها من حين إلى آخر، تارة للاستراحة من ضوضاء المدينة وجلبتها الصاخبة، وطورا للاشراف على أعمال الحصاد. وكان في مثل هذه الأسفار يحمل ربابه معه للتسلي بالعزف عليه في الليالي الموحشة

وفي ليلة من ليالي المزرعة، بينما هو في قاعة الطعام، وقد استولى عليه الملل من وحدته وانفراده، تناول ربابه وراح يعزف عليه نغما شجيا أودعه كل ما في نفسه من حساسية الفن، وما في قلبه من رقة العاطفة. وفيما هو كذلك، وقد غاب من عالم الحس، وقع نظره فجأة على زنبلاء سوداء اللون كبيرة

الزنبلاء من الحوام أنواع وهي منها العنكبوت الحجم، كثيرة القوائم، هائلة المنظر، كانت على مسافة قصيرة منه، وقد جمدت في مكانها وكأنها تصغي إلى نغمات ربابه. فأجفل لرؤيتها وتحفز من مكانه ريد سحقها بقدمه. ولكنه ما كاد يتوقف عن العزف وينقطع صوت الرباب، حتى أبصرها تنسحب مسرعة وتتوارى في شق كان بين الجدار وأرض القاعة. فقبض على قطعة من الخشب ولبث منتظرا ظهورها ثانية ليقضي عليها. إلا أن الزنبلاء ظلت طول مدة انتظاره متوارية في شقها المظلم. ولما عيل صبره عاد إلى احتضان ربابه ومتابعة عزف ألحانه

وما كادت نغمات الرباب ترتفع في فضاء القاعة، حتى ظهرت ذات اللون الأسود، والقوائم العديدة، والمنظر المخيف، وراحت تتقدم نحوه، حتى إذا صارت على بضع خطوات منه، وقفت وعلائم الانسحار بادية عليها. فلما أبصرها ملو توقف عن العزف واستعد للقضاء عليها بضربة مسددة من خشبته. ولكنه ما كاد يلقي الرباب من يده، ويتحفز للهجوم عليها، حتى انسحبت

شيء من التردد ، وتوارت فى شقها . وبعد قليل من الانتظار عاد مللو إلى مداعبة أوتار ربابه ، وعزف ألحانه . وقد أعيد تمثيل هذا الدور مرارا ، أى أن الرتيلاء كانت لا تكاد تسمع صوت الرباب مرتفعا فى فضاء القاعة ، حتى تبرز من محبئها وتأخذ فى التقدم نحوه كأن فيه قوة خفية تجذبها إليه ، ولا يكاد ينقطع الصوت حتى تعود إلى التوارى فى شقها

دهش مللو لأمر هذه الرتيلاء الغريب . وبات لا يرى فى منظرها ما يخيفه . وقد ألف رؤيتها وأصبح مشوقا إلى معرفة ما إذا كان لنغمات ربابه تأثير عليها . وأخيرا انصرف إلى فراشه دون أن يحاسره أقل خوف أو قلق من وجود تلك الحشرة السامة داخل بيته وعلى مقربة منه

تمضى اليوم التالى بين مراقبة العمال والتجول حتى ظهر جواده فى كل أنحاء المزرعة . ولكنه لم ينقطع لحظة عن التفكير فى الرتيلاء والتساؤل عما إذا كانت ستظهر فى المساء لدى سماعها نغمات الرباب كما ظهرت فى الأمس ، أو أن ما حدث فى تلك الليلة كان من قبيل الصدف

ما صدق مللو أن توارت الشمس وراء خط الأفق ، وتنشر الليل رداءه القاتم على الكون ، حتى عاد مسرعا إلى البيت . وأول عمل باشره ، بعد فراغه من تناول طعام العشاء ، هو احتضان ربابه والعزف عليه بفن وشغف ، قائلا لنفسه : لعلها إذا كانت ستظهر فى هذه الليلة . وكان يعزف فى هذه المرة بشيء من التأثر البادى فى اضطراب أعصابه وخفقان قلبه كما لو كان يعزف على المسرح أمام الجمهور . وكان يحرك بأنامله أوتار الرباب وعيناه شاخصتان إلى الشق حيث تبرز رتيلاؤه

لم تمر دقائق قليلة على ارتفاع نغمات الرباب فى فضاء القاعة ، حتى خرجت الرتيلاء من شقها وراحت تبدى انسحارها بتقدمها البطئ . وأراد مللو أن يكمل تجربته فتوقف عن العزف ليرى ما سيبدو منها . ولما مال عليها السكوت انسحبت إلى شقها بصورة مضحكة كئيبة

بعد تلك التجربة وثق مللو من انسحار الرتيلاء بنغمات ربابه ، وأصبح العزف لها فى كل ليلة من أحب الأعمال إليه ، وأصبحت رؤيتها من أجمل المشاهد فى نظره . وبلغ من شدة شغفه بها أنه أهمل التفكير فى مغادرة المزرعة والعودة إلى المدينة . ولكثرة ما تحدث عنها أمام العمال والموظفين وغيرهم من الزوار ، ذاع أمرها فى كل تلك الأنحاء ، وأخذ سكان المدن القريبة يتوافدون إلى مزرعة مللو لرؤية ذلك الحيوان المخيف الذى يطرب لنغمات الموسيقى كسائر

البشر . وكانوا يعجبون أكثر لبقائها بعد عزف أنشودة شعبية ، أو قطعة كلاسيكية ، جامدة فى مكانها كأنها لا تزال سكرى من سماع تلك النغمات المتآلفة والأنات المتوازنة . وكانت تطرب بنوع خاص لأعزوفة « كافوتاده تاريكا » فكان مللو ، وقد لحظ منها ذلك ، يودع هذه القطعة كل إحساسه الفنى وشعوره الفياض

وقد بلغ من شدة هيام مللو بضيفته المسالمة أنه اتخذها رفيقته ونديمته ومسليته فى وحدته . وكان كلما خرجت من شقها الاستمتاع بسماع نغمات ربابه ، يصيح قائلا كأنه يرحب بأعز الناس عنده : أهلا بك: وليس ذلك فقط بل إنه وضع لها اسما شاعريا كان يدعوها به تحببا . حتى أن ألفتهما قضت على ملل حياته فى تلك المزرعة النائية . فكان ورفيقته الصامتة الخرساء على تفاهم كلى ، وتآخ عز نظيره حتى بين البشر

ولما حان ميعاد رجوعه إلى العاصمة استولى عليه الحزن وآلمه التفكير فى مغادرة تلك الرفيقة الأمينة ، والصديقة الصدوقة ، والوحشة التى ستعانيها وتشعر بها بعد انقطاعها عن سماع ألحان ربابه . واشتد به الحزن لدى تفكيره فى استحالة نقلها معه

وفيما هو على هذه الحال من الحزن والكآبة والتردد فى مغادرة المزرعة ، زاره أحد عمال شركات تصدير الفن ، وعرض عليه وفى الساعة أخذ العشير يقصر على ضيفه أخبار سوق الفن وإقبال سوقه فى ذلك العام . والأرباح الطائلة التى جنيها المزارعون من ارتفاع أسعاره فى البنادر الأجنبية . ومع ما لهذا الحديث من الأهمية فى نظر أصحاب مزارع الفن ، فقد مله مللو لصرفه إياه عن العزف لصديقته ورفيقته الليلية . لذلك اغتنم فرصة توقف ضيفه عن الكلام ، وقبض على ربابه وراح يعزف عليه أحب الألحان إلى قلبه وقلب نيلاته

ثم مرت بضع دقائق على ارتفاع صوت الرباب حتى برزت من شقها ذات اللون الأسود ، والقوائم العديدة ، والنظر المخيف ، وراحت تتهادى فى سيرها كأنها فى حالة طرب ، فما إن وقعت عليها عينا الضيف حتى غلب وجهه صفرة الخوف ، وانسحب من أمام البصر تقدم منها وسحقها بحذائه الغليظ قبل أن يسمع صيحة الذعر تنطلق من فم مضيفه ، فالتفت إليه هذا وقال له : أظننت أنى خطر تحوطنا منه ؟

عبد الحميد كريم

طبيعة الرجل

للكاتب الإنجليزي ايسرائيل زنجويل

بقلم الأديب حسين فتحي طليمات

بالرغم من أن (كاتي) وجدت في (دان) جمال من يوافق طبيعتها كمفتاح يتلاءم مع قفله إلا أنها اختارت (سلوين) بائع السمك في سوق القرية زوجا لها في النهاية . فقد قررت في ذات نفسها أن جسدها المتناسق وجلدها الأملس الناعم وشعرها الأسفر الذهبي وثغرها الشهير بأسنانه اللامعة ، إنما يستحق كل هذا رجل أرقى من دان ، الذي يسكن كوخا حقيرا منفردا في طرف الغابة يبعد عن القرية بستة أميال ، وتتصاعد منه رائحة الفئران والعفن

وفي الأمسية التي وطدت العزم فيها على ذلك ، ذهبت إلى كوخ دان الذي يسكنه وحيدا بعد أن توفي والده ووالدته من الخارج ، وكانت نافذته مفتوحة :

« أخرج أيها الرجل الكسول واستمع إلي السيدة » وما إن ظهر أنفه المقوس من الباب حتى أضافت قائلة « أعد إلي الخطاب الذي عكفت على تحريره بيدي في الشتاء الماضي لأني لن أتزوجك أيها القوقعة ، وسأذهب في الشهر القادم إلى سلوين السمك »

وأشارت بيدها نحو السوق . وحملق فيها دان وكان أشعث الشعر معبره وبجانبه الوعاء الذي يستقبل نقط الماء المتساقطة من السقف ورمقه في لحظة خاطفة ثم ألقى الماء عليها ، ولكنها أسرعت تتفادى ، وصاح فيها غاضبا « اذهبي وتزوجي ذلك السمك القذر ، أغربي عن وجهي » وعاد يلقي عليها الماء

فالتقطت قطعة من الحجر ورمته به فأصابته في صدره ولكنها لم تكن قد غادرت مكانها بعد . وبقي هو واقفا على عتبة بابه وصدره يعلو ويتخفض في ثورة . وقالت هي « سيمضي عن زواجي يوم الأحد القادم وسيكون زواجا حافلا . يا لك من أبله لا مطمح له ، كأنك أرنب جبلي » وداعب الهواء شعرها الأسفر فتناثر على جانبي رأسها . قال وعيناه تقدحان شررا : « اذهبي وتزوجيه وآمل أن يعيشا تعيسين تعيسين » فقالت في نشوة الانتقام « يالك من غيرة ! أعد إلى خطابي ، وأنصحك أن تتزوج (ماري) العرجاء فهي خير زوجة لمثلك »

وهكذا جعلا يتبادلان السباب ولكنه لم يعطها ذلك الغطاء الأزرق المزركش بالطيور والزهور والذى سبق أن أهدته إليه منذ زمن ليس بالبعيد ، قائلة أنها أعدته لفراش زواجهما وأنه يساوى مبلغا لابأس به ، لو بيع فى السوق

وأخيرا .. اضطرت أمام عناده وصلابته أن تغادره بعد أن صبت عليه جام شتائمها وعيرته بفقره وحقارة كوخه وذكرت له كل مثالبه ، وصعدت الطريق نحو القرية . وبما اشتد الظلام أغلق دان باب كوخه وأشعل شمعة وصب غضبه على صرصور تحت قدميه فقتله شر قتلة

لقد كانت شكواها منه دائما هى السبب فى تأخير زواجهما ، فهو رجل دينى بطىء التفكير ، شديد الحرص على كل شىء ، وطالما ترددت فى شراء سيارة نقل قبل زواجه ، أو يكتفى بالعربة والحصان المجور اللذين يعتريهما . ولكن تعيير كاتى الدائم له بأنه عاجز غير طموح أوقعه فى حيرة من ذلك كان يتأخر تاريخ زواجهما مرة بعد أخرى

كما أنها كانت تدفعه لأن يغادر ذلك الكوخ القديم الذى تملكه عائلته منذ مائتى عام وأن يذهب للسكن فى قلب القرية حيث تزدهر حرفته بعد شرائه السيارة ، ولكنه كان يكتفى بما لديه وكأن قدميه قد تسمرتا بكوخ أجداده حيث قضى أجمل سنى حياته

ودامت تلك العلاقة بينهما خمس سنوات وكانا يسيران جنبا إلى جنب فى النيابة ويقضيان معظم الوقت يتشاجران كأنهما شيطانان لايمكنهما الافتراق عن بعضهما . وكانت هى تحلب البقر فى مزرعة تربكوريل وتعيش من ذلك . وكان دان يعرف أن سلوين بائع السمك اعتاد أن يتابع كاتى بنظراته الشهوانية حين تسلك الطريق بالقرية واضعة صدرها إلى الأمام كأنه سلة من الخوخ

ولكنه فوجىء يومئذ أن تهديداتها كانت هذه المرة حقيقة ، فلقد تزوجت من السماك وأقامت معه فوق حانوته فى القرية القديمة التى يخترقها نهر أزرق ويوجد بها قصر عتيق ودار للسينما تعرض أفلامها ثلاث مرات فى الأسبوع . وفى اليوم الذى تم فيه زواجها مرت بكوخ دان وهى فى طريقها إلى القرية على عربة حملت عليها كل متاعها ورأته خلف النافذة ولكنها لم تناده ، ولم تطلب بعطائها ، إنما كل مافعلته هو أن سوت ثوبها الجديد ولمعت أسنانها البيضاء ، ومرت عليه فى أنفة وكبرياء .

وفى هذا المساء ذبح دان إحدى دجاجاته السمينة ونزع ريشها ثم حمرها على النار

واكلها فى نهم وشرب لترا من البيرة ، ولما تمل تسابيح بخور فى ضوء الشمعة المزيل أغنيات تهزأ بالنساء وعواطفهن .

وقضت كاتى السنتين الأوليين من زواجها فى القرية تلبس الجوارب الحريرية بعد أن لم يكن يمس قدميها وساقيها طيلة حياتها سوى الجوارب القطنية السود

ولكن سرعان ما بهت لون شعرها الذهبى وصار أشعث مهوشا فقد كان زواجها هو سوء حظ ، وزوجها ستون كان غبيا لا عقل له كأعمى سكانه . وكانت أسعد لحظات حياته هى التى يقضيها فى احتساء الويسكى فى الحانوت . ولكن لعل عدم التناسق فى حياته هو الذى كان يدفعه إلى تمنية وقته فى الطارح دائما حتى باعت تجارته

وقد كانت كاتى تحاول أن تنسى شقاءها بعض الوقت فتذهب مرة فى نهاية ملابس جديدة لها ، وهى سعيدة لم تكن تحلم بها . ولكنها أسرعت كثيرا ما تتأنق ، بعد أن ذهب عنها جمالها القديم ، وأحيانا كانت لا تتمالك نفسها عن البكاء فتهوى على ستون بسبابها ولعناتها

وفى نفس الوقت كان دان وكأنه أراد أن يثأر لنفسه فإذا به يصعد درجات النجاح قدما ، فقد اشترى سيارة نقل على أقساط ، ولكنه لم يغادر كوخه المظلم ، وما زال يبدو دائما قاسيا صلبا ويقضى أوقات فراغه يحفر على قطع الخشب أشكال حيوانات مختلفة ، واشترى مصباحا زيتيا وعدة سكاكين ، بل وتمادى فى تبذيره فاشترى لنفسه خاتما ذهبيا

ولكنه لم يهتم بأية امرأة : وأصبح يمر بعربته على ست قرى يحمل منها وإليها الخضر والبيض والطيور ، وإذا ازدهرت أعماله حاول كثير من النساء — بالرغم من قسوة مظهره — أن يشغلن مكان كاتى فى قلبه ولكنه ظل صلبا كالحجر ولم يعرهن التفاتا

وحدث أن كان يمر بعربته يوما أمام حانوت السمك فرأى كاتى وهى خارجة من مزلقه فوجه إليها الكلام قائلا : « ما سعر السمك الباقى اليوم يا سيدة السمك ؟ » فوقفت تحملق بعينين متسعتين دهشتين فى السيارة التى أسرعت فى طريقها .

وذات مساء عاصف من نوفمبر بعد أربعة أعوام من افتراقهما رفع وجهه فى بطء عن القطعة الخشبية التى كان يحفرها فلمح وجهها تنظر إليه من خلف النافذة ، فزم شفتيه ونكس رأسه وهو يتابع عمله ، ونقرت هى بإصبعها على خشب النافذة ونادت خلال الريح : دعنى أدخل يا دان . دعنى أدفئ نفسى بجانب نار كوخك . فصاح فيها :

أغربى عنى وجهى . فقالت : إن الريح باردة يادان ومعدتى خوية . فرفع نظره إليها مرة أخرى ولمح دمها المزبلة وعظام حديها البارزة ثم أجابها : أغربى عنى .. عودى إلى زوجك ولا تقفى هكذا وإلا ناديت رجال الشرطة . فضربت زجاج النافذة حتى هشمته وسال الدم من يدها وهى تقول قائلة : إن الليل قارس البرد .. أعدنى فى عربتك يادان . ولكنه أطفأ المصباح واطمأن إلى أن الباب مغلق جيدا وسمعته وهو يصعد إلى حجرة نومه . وعادت من طريق الغابة تقطع الستة أميال نحو القرية على قدميها ، لقد كانت تحوم حول مرابع صباها وشبابها باكية أيامها الخالية بعد أن تشاجرت مع سلوين الذى كان ممنا فى شرابه

وعادت إلى الظهور بعد شهر وكانت ترتعش وهى رثة الثياب ، وكان دان متجهم الوجه حين أدلت إليه بأخبارها من النافذة لأنه كان قد تجمع بها من قبل . قالت : لقد أفلس سلوين وأغلق الحانوت اليوم ولا مأوى لى ، كل ما أملكه الآن هو حشية على الأرض . دعنى أدخل يادان . ولكنه صاح فيها . إن المحيط المعين قد خلق للأسماك فوص فيه . يمكنك أن تسيرى على قدميك فى القرية بعد أن تلقى على أسابيعك أجراسا ولم يجرؤ على غلق النافذة حتى لا تكسر أحد ألواحها فقد كلفه اللوح السابق ثمانية عشر بنسا لإصلاحه . فقالت صارخة : إننى اعطانى سلالى الطارز فهو يساوى شيئا من المال . فسحبك منها ساحرا وهو يقول : إنه يدفئ فى زمهرير الليل . فتضرعت إليه قائلة : دعنى أظهر لك طعامك وأحيط ملابسك وأغسلها وأنظف لك كوخك بدون أجر . وسأفرش حصيرا على الأرض . فقال ضاحكا : هناك حفر دافئة على طول الطريق

ومرة أخرى قام فأغلق النافذة وسمعته وهو يصعد السلم إلى حجرة نومه

فألصقت يدها بحائط الكوخ وكانت تريد أن تشعر بالدفء ، وعادت إلى الطريق

واختفى زوجها بعد أسبوع فاضطرت لأن تقيم وتأكل فى الكنيسة حتى تجد عملا صغيرا فى مطبخ فندق القرية . وقد أثرت فيها هذه الحالة المزرية التى أصبحت عليها فهى ما زالت تذكر جسدها المتناسق وشعرها الذهبى وملابسها الحريرية وسمرها المتوج ، وعادت ثانية إلى مطارح صباها فى ليلة قاسية البرودة من ليالى يناير ، وكانت تسير متضعضعة كأنها حيوان بلا مأوى تقودها رغبة جارفة لا تقوى على مقاومتها وكانت الثلوج تغطى الطريق والأشجار تهتز فى عنف

وكان دان بعد نفود الشهر التى سيودعه

الصرف ، عدة أوراق مالية وقطع فضية كثيرة ، وكانت يداه السمراوان تقبضان على النقود ، وخياشيمه تستقبل رائحتها فى لذة تفوق لذته لو شم رائحة جسدها . ولم يلتفت حين طرق سمعه صوت نقرها على النافذة ، بل رفع بعض القطع الفضية وتركها تتساقط فى ضوء المصباح

فصاحت : دان ، إن كانى تريد الدخول . أنا الآن فى الثانية والثلاثين وأنت فى السادسة والثلاثين ، لا تدعنا نضيع سنوات أخرى عبثا ودع الأيام تتفتح لنا عن السعادة . أعد إلى رونق جسدى الذى فقدته واطرد البرد عن صدرى

ونقرت فى رقة على خشب النافذة ، ولكنه لم يلتفت إليها بل كان يغنى قائلا :

ادهبى وابحثى عن حوتك فى قاع البحر

فصاحت : سأنظف لك كوخك وسأطهى لك أشهى الطعام كل يوم ، وسنتخلى عن طباعنا الشرسة وأحزاننا . لقد خلقنا لبعضنا يا دان ولا تفكر ذلك الآن.

فوضع النقود فى كيس جلدى وصاح فيها دون أن يلقى عليها نظرة واحدة : اغربى عن وجهى يا ذيل السمكة فأنا لا أفكر فيك أبدا . فتضرعت إليه باكية وهى تقول : افتح الباب

ولكنه أطفأ النور وصعد السلم ووضع كيس النقود تحت الوسادة ثم استغرق فى سبات عميق ، تحت الغطاء الدافئ المزركش بالطيور والأزاهير ، ونام طيلة ليله كالخنزير .

وفى الصباح فتح باب الكوخ الخارجى فسقط جسدها على قدميه ، كان وجهها شديد الزرقة ويداها متلجتين فأسندها إلى الجدار وأغلق الباب ثم ذهب فى سيارته إلى مركز البوليس وقال لرجل الشرطة : أترى ما فعلته كانى ؟ لقد ماتت على عتبة بابى . أرجو أن تكلم رجال الكتيبة تليفونيا ليرسلوا عربة الأسعاف لحملها لأنى مشغول اليوم ، إذ لدى جولة بيض وطيور من مزرعة باول

وباع الغطاء بعشرة شلنات فى يوم السوق التالى ، حتى يمحو كل ذكرياتها ودفنت كانى فى أرض الصدقة

وبالرغم من أن دان قد طلا كوخه من الخارج بلون أخضر زاه ، واعتاد شرب اللبن يوميا واشترى حلة سوداء وساعة جديدة ، إلا أنه مع هذا كله كان يشعر أن هناك شيئا ينقصه ، فقد انطفأت لمعة عينيه ولم يعد يتقن الحفر على الخشب كما كان من قبل ، وكان يتنقل من مكان إلى آخر وكأنه ليس هناك فى الدنيا ما يعنيه ، وأخيرا فاجأه الموت شتاء وهو يقود سيارته فى وقت كان يجب أن يبقى فيه نائما فى فراشه ، فقد اصطدمت

الشمـــلة

للأديب الفرنسي أندريه سوردا

بقلم الأستاذ حسن نديم

سألني صاحبي : أتعرف الشاعر المسمى «الفريد ديزتال» ؟

فأجبته قائلا : لم أقابله غير مرة واحدة وأذكر أنه تحدث عن روسيا بمزيج شيق من البساطة والغموض . كان يترافص حول قصصه ضباب خفيف يضفي على الأشخاص الذين يصورهم هالة مطلقة ، ويجعلهم خلقا آخر يسمو على دنيا الناس ، حتى صوته فقد كان غريبا في نبراته وكأنه ينطلق من وراء حجب . أجل ، لم أره سوى مرة واحدة ؛ غير أني أحببته منها أكثر مما أحببت كثيرا من الناس الذين عرفتهم طوال حياتي . لقد علمت بوفاته بعد هذا اللقاء القصير بزمن قليل ، فأسفت أشد

السيارة بإحدى الأشجار ...

لم يجدوا إنسانا يطالب بنقوده أو حتى يرث كوخه الموحش المقفر حيث تقفز الفيران لاهية على فراشه !

عبس فتحي خليل

الأسف ، لكنني لم أعجب لموته ، فلم يكن يبدو عليه سيما الأحياء ولا أنه من أهل دنيانا . ومنذ ذلك العهد طالما قابلت خلال أسفاري في الأقطار المختلفة أصدقاء لريزتال رجالا ونساء ، ملأ حياتهم ، وصاغ نفوسهم ، فأصبحوا اليوم بفضله أرق عاطفة وأرهف حسا من سائر الخلق

قال صاحبي : إني جد مغتبط لما تقول ؛ لأني كنت صديقا لريزتال . لقد حظيت بمثلك لقائه ذات يوم ولساعة من الزمان فلم أستطع بعدها نسيانه ، ثم مر بيلدق منذ أعوام ثلاثة ، فذكرني وكتب إلي ، وحل ضيفا بداري يوما كاملا . كان ذلك في مقتبل الخريف والجو ما زال باردا ، ولما كنت أقطن سفح جبل عال فقد عانى ريزتال وهو القليل التجلد أشد العناء . إذ لم يكن قد أتى معه بأثواب ثقيلة تقيه عنه غائلة البرد ، فسألني والبسمة تعلو شفتيه هل لك أن تعيرني معطفا ؟ وأنا كما ترى أضخم منه وأطول . فذهبت من

نورى أبحث عن شملة سمراء اعتدت أن أرتديها كلما خرجت شتاء للصيد . أراني ريزنتال وهو جذلان مطروب أنه استطاع أن يلتف بالشملة نفسها فينعم بمزيد من الدفء . وهكذا نسى له أن يتريض معى طويلا بين الروج والشجر

طاب له المقام عندى ذلك اليوم ، ففى خلال النهار رافقه منزلى وحديقتى والجبال المطلة عليها . وفى المساء لذ له الاصطلاء بنار الخشب المستعرة فى مدفأتى ، فقرر أن يقضى معى يوما آخر . ونشر الشملة فوق الفراش ونام ليلته . وفى الصباح اشتمل بها كلباس منزلى ، حتى إذا أقبل المساء أخبرنى أنه لا يبغى الرحيل فى الغد ، وصادف ما ارتآه هوموقعامن نفسى ، فلم أكن أتمنى أكثر من أن أحتجز عندى هذا المخلوق الغريب أطول مدة ممكنة . وهكذا مرت الأيام تترى يوما فى إثر يوم ، حتى قضى أسبوعين كاملين كان خلالهما مدثرا بشملتى . ثم سافر بعد أن ترك لى قصيدة فى ذكرى إقامته ، وبعد بضعة أشهر نبئت بوفاته

وحل الخريف التالى ، فحظيت بزيارة أخرى لكاتب فرنسى يعجبنى أسلوبه المصقول الشفاف . كانت صلتى به إذ ذاك لاتعدو المعرفة العابرة ، وعن له فى طريقه إلى فينا أن يقضى فى بلدتى الصغيرة يوما واحدا . لقد جرى حديثنا خلال الغداء غمسيرا جافا ، وخيل إلى أن الألفة التى كنت أنشد توثيق عراها بينى وبينه تعثر وتتداعى ، وأننا جد مختلفين كل منا عن الآخر ، وأيقنت آسفا أننا سنفترق دون أن يخلف أحدنا فى نفس الآخر أثرا باقيا

وفرغنا من تناول الغداء ، فمشينا تحت الشجر المصفر نتريض ، ثم شكا برودة الجو . وهنالك أبحث له عن شملة ريزنتال

إن ما حدث بعدئذ لغريب يثير الدهش والعجب ، فما إن وضع صاحبى الشملة على كتفيه حتى استحال شخصا آخر . بعثت روحه التى خلقت صماء محدودة الأفق وهى تسربلت بها بشعور من الشعور الحزين فرقت حاشيته وانطلق لسانه بما يجيش فى نفسه . وما جن الليل حتى توطدت بيننا أواصر الصداقة ، وأنس كل منا إلى صحبة رفيقه ، وكما فعل ريزنتال من قبل ، وقضى ضيف الخريف عندى — وقد أتى ليوم واحد — أسبوعين كاملين

وبعد ، فقد أصبحت يا صاحبى أعتز كثيرا بهذه الشملة السمراء ، وأسند إليها — وإن كنت لا أعتقد كثيرا فى هذه الأمور — قوة روحية خيرة . ففى غضون الشتاء التالى تعشقت فتاة تسوية رائعة الحسن تدعى « انجبورج » ، تنحدر من

أسرة عريقة أناخ عليها الدهر ، مما ألجأها إلى أن تصيب قوتها بالعمل لدى أحد الناشرين .

عرضت عليها الزواج بي ، غير أنها كانت كمعظم الفتيات اللاتى نشأن بعد الحرب تتشبث بالحياة الحرة الخالية من كل قيد ، وأجابتني — وهي تحرص على أن تشعرني بأنني إلى نفسها قريب — قائلة : إنها لا تطيق مجرد فكرة الارتباط بوثاق الزواج . كنت لا أملك نفسي من الألم كلما شاهدتها طليقة في مدينة كبيرة ، وشاهدت حولها نفرا من الذين ليس لهم من ضميرهم وازع ، ولبثنا عدة أشهر مضنية على تلك الحال .

وفي نشوة الربيع رضيت انجبورج ان تزورني في منزلي بوينزلاند ، وخرجنا إلى الحديقة بعد العشاء في أول أمسية من إقامتها عندي فقلت لها : هل لك أن تصغي معي جميلا ، فتسمحي لي أن أضع على كتفيك شملتي بدلا من معطفك ؟ إني أعلم أنك لا تقيمين للعواطف وزنا ، ولابد أن تبدو لك مثل هذه الرغبة سخيفة ، ولكن ماذا يضيرك ؟ هذه أول أمسية تقضيها عندي ، فاستجيبي لرجائي من أجلي ناشدتك الله !

فضحكت ساخرة مني في كثير من الفتنة والدلال ، ثم قبلت أن تشتمل شملتي

أمسك صاحبي عن الكلام بغتة ، فقد كان يتهادى نحونا من نهاية المشى في غسق الليل شخص رائع الحسن عليه شملة سمراء

ثم قال لي : هلا عرفت زوجتي ؟

حسن شريم

وحي الرسالة
في ثلاثة أجزاء

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحات كل مجلد خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل جزء أربعون قرشاً عدا أجرة البريد